جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

أعلام الإناث في الإبداع العربي
دراسة في ضوء علم الدلالة
(ليلى وأخواتها) نموذجا

إعداد

د / سهير إبراهيم محمد حسين

مدرس العلوم اللغوية بكلية الألسن جامعة عين شمس – جمهورية مصر العربية
والأستاذ المساعد بكلية العلوم والآداب بطبرجل جامعة الجوف المملكة العربية السعودية

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الأول ٠٠ أبريل)
(الجزء الثاني (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

أعلام الإناث في الإبداع العربي دراسة في ضوءِ علم الدلالة (ليلى وأخواتها) نموذجاً

سهير إبراهيم محمد حسين

قسم الدراسات اللغوية، بكلية الألسن، جامعة عين شمس – جمهورية مصر العربية.

كلية العلوم والآداب بطبرجل، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: sama4ever4@gmail.com

ملخص البحث:

تناول البحث أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي الشعري والنثري بالدراسة اللغوية الدلالية بوصفها شكلًا من أشكال توسيع الدلالة بهدف بيان ما فيها من تعميم دلالي ومستويات متعددة الدلالة وكيفية استدعاء بعضها بعضًا من خلال دراسة الدلالات المشتركة التي تجمعها، وكذلك دراسة دلالات العلم المؤنث(ليلى) وإحالتها على أخواتها(عزة وبثينة خاصة، وجميع معشوقات العرب ممن وردت أسماؤهن بإبداعهم عامة) فخرجوا بذلك إلى دلالات متعددة تجمعهن، وتجعل لهن كيانًا مترابطًا في الإبداع العربي، ينسجه عالم متخيل من التأويلات، لا يقف عند حدود الظاهر، ولا يقنع بالقريب المعتاد، ولا يرضى إلا القيام برحلة طويلة مسافرًا عبر الدلالات. إذ (ليلى) صارت كالليل الطويل سبح البحث في فضائها المتسع المظلم تارة والناعم الذي يأخذ للسكر والنشوة تارة أخرى محلقًا معها في فضاء لغوي دلالي نزع عنها التجسيد المادي الأنثوي فلم تعد حكرًا على شاعرها قيس بن الملوح، ولم تعد هي وأخواتها من جنس النساء في فضاءات سردية أبدعها الوعي الجمعي العربي وفق متخيله الثقافي. مما يدل على عمق الوعي الجمعي العربي في استخدامه لهذه الأعلام وتوظيفه لها توظيفات دلالية شتى يجمعها رابط مشترك، وتحولها في مسيرة الإبداع العربي إلى ما يشبه الوصف في اللغة بتصدرها إبداع الذات العربية وإخراجها لها من حيز الحقيقة إلى فضاءات التأويل واتساع الدلالة وعالميتها.

الكلمات المفتاحية: ليلى وأخواتها، ليلى، الدلالة، الاتساع، المحبوبة، المبتغى.

Female figures in Arab creativity, a study in the light of semantics (Laila and her sisters) as a model

Suhair Ibrahim Muhammad Hussain

Department of Linguistic Studies, Faculty of Al-Alsun, Ain Shams University - Arab Republic of Egypt. College of Arts and Sciences, Tabarjal, Al-Jouf University, Saudi Arabia

Email: sama4ever4@gmail.com

Abstract:

The research dealt with female flags (Laila and her sisters) in Arabic poetic and prose creativity through Semantic linguistic study as a form of expanding the semantic with the aim of explaining its semantic generalization and multi-level levels of significance and how to invoke each other through the study of the common semantics that unite them, as well as the study of the semantics meaning of the momentary flag (Laila) and referring it to her sisters (Azza and Buthaina in particular and all the Arab lovers whose names were mentioned in their creativity in general), so they came out with this to multiple connotations that unite them and make them a coherent entity in Arab creativity that is woven by an imaginary world of interpretations that does not stop at the limits of the appearance and is not satisfied with the usual relative and is satisfied only with taking a long journey Traveling through the signs And if (Laila) becomes like a long night, the search glorifies in her vast, dark space at times, and the soft one that takes to intoxication and ecstasy at other times, soaring with her in a semantic linguistic space that stripped her of the female material embodiment. It was created by the Arab collective consciousness according to its cultural imagination. Which indicates the depth of the Arab collective awareness in its use of these media and its employment of various semantic functions united by a common link and its transformation in the course of Arab creativity into what resembles a description in the language by leading the creativity of the Arab self and bringing it out of the realm of truth to the spaces of interpretation and the breadth and universality of the signification.

Keywords: *Laila And Her Sisters, Laila, The Signifier, The Wide, The Beloved, The Desired.*

مقدمـــــة

يدرس هذا البحث أعلام الإناث في الإبداع العربي دراسة في ضوء علم الدلالة من خلال التطبيق على مجموعة منها، وهي(ليلى وأخواتها). وتظهر أهمية موضوع البحث من رسوخ أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) – خاصة (ليلى) – في الذاكرة العربية الجمعية منذ العصر الجاهلي بأشعاره التي رددت هذه الأسماء وحملها الاستعمال اللغوي الدلالي عبر القرون حتى اليوم، وقد تبدو العينة من الناحية الخارجية الشكلية مختصرة قليلة لفظًا؛ لاقتصارها على اسم علم مؤنث واحد (ليلى) ومجموعة متداعية معه دلاليًا(أخواتها)، ولكنها على المستوى الدلالي تنفتح على عوالم من الدلالات؛ "ألا ترى أنه لولا العَلَم لاحتجت إذا أردت الإخبار عن واحد من الرجال بعينه أن تعدد صفاته حتى يعرفه المخاطب، فأغنى العَلَم عن ذلك أجمع"[١] ويقول (ابن جني) في كتابه(المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة): " قيل: إنما وضعت الأعلام لضرب من الاختصار وتنكب الإكثار، وذلك أن الاسم الواحد من الأعلام قد يؤدي بنفسه تأدية ما يطول لفظه، ويمل استماعه؛ ألا ترى أنك إذا قلت: كلمتُ جعفرًا فقد استغنيت بجعفر هذا على أن تقول: الطويل، البزار"[٢]، فجعلت الألفاظ على المعاني دليلًا، وجعلت الدلالة على المجتمع وثيقة مفهمة لمن حولها، مبينة من غير طول يمج، ولا زيادة تثقل. فاسم العَلَم يختزل أوصاف المسمى بكلمة واحدة غالبًا. مما يجعل اسم العلم سمة مهمة لصاحبها تشير إليه، يختارها الآباء لأبنائهم وفق دوافع شتى وأغراض متعددة، يسوقها لهم حسهم اللغوي الفطري والاجتماعي. فأسماء الأعلام ليست عشوائية الاختيار والوضع، وإنما هي قيمة لغوية دلالية اجتماعية نابعة

---

(١) ابن يعيش(أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش): شرح المفصل، تقديم : إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ٢٠٠١، ج١، ص٢٧.

(٢) ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني): المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، تحقيق: مروان العطية وشيخ الراشد، دار الهجرة–بيروت، ١٠٤٨، ص ٦٥.

من كيان المجتمع وفق تشكيلاته المتعددة. ويؤيد ذلك ما ذكره (ابن دريد) في كتابه الاشتقاق" قيل للعتبي: ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشنعة، وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة، فقال: لأنها سمت أبناءها لأعدائها، وسمت عبيدها لأنفسها"(١). فأعلام الإناث موضوع البحث وظفت توظيفًا دلاليًّا عامًّا كان له أثره في توجيه المعاني، وبيان المراد والإسعاف بالمقصود عن طريق إطلاق طاقاتها الكامنة من حيز السكون إلى مجال التداول والاستعمال.

وتتعدد تسمية الأعلام على مستوى المؤنث والمذكر، وتختلف صيغها الصرفية. وكان هدف الباحثة من دراسة الموضوع استنطاق الأسماء ومحاولة الكشف عن أسرارها وبيان المختزن فيها من الدلالات لتكراره وانتشاره في الإبداع العربي وخاصة العلم المؤنث(ليلى)، الذي أصبح عالَمًا أكثر من كونه عَلَمًا؛ لذا يصلح بمفرده هكذا أن يكون موضوعًا للدراسة، ونصًّا كاملًا بما حمله من الدلالات. فهو عالَم من الدلالات والمشاعر والأفكار المختزنة في رمزيته أثناء استخدامه من الذات المبدعة بما يتفق مع ثقافتها خلال التجربة الإبداعية. وهو من حيث المبنى ضئيل، ولكنه من حيث المعنى يمكن أن يؤول بالكثير، وإن كان أصله الدلالي ضيقًا يلتصق بإنسان محدد أو شيء معين، ولكنه عبر فضاء الدلالة يتحول إلى العمومية خاصة في الإبداع الشعري، وإن كان بأصل وضعه يتسم بالاعتباطية، ولكنه بالتأويل الدلالي يتسم بالقصدية المخصوصة من الذات المبدعة، فتتسع دلالاته وفق السياق أو منفردًا كما هو الحال هنا، فأصبح بمفرده سياقًا دلاليًّا. ولكن مهما تعددت واختلفت السياقات اللغوية اختلافًا ظاهريًّا فلايزال يجمعها رابط مشترك، هو واضعها، إنه(الإنسان)، فالإنسان يختار من مخزونه اللغوي الثقافي اسمًا احتل موقعًا مؤثرًا في نفسه. لذا تحمل الأعلام بين طياتها– منذ القديم– تفكير مجتمعها وثقافاته وعاداته، فتشيع

(١) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد): الاشتقاق، مؤسسة الخانجي– مصر، ١٩٨٥م، ص٤.

بعض التسميات في زمان معين ومكان بعينه تبعًا للعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية لدى هذا المجتمع، في حين توجد غيرها في مجتمع آخر أو زمان مختلف وهكذا.

وسبب اختيار العَلَم المؤنث موضوعًا للدراسة في هذا البحث هو أن الأسماء عامة جزء حيوي في اللغة، يخرجها إلى حيز الاستعمال المتداول، ويحمل بداخله – رغم صغره من ناحية التركيب – ما يمثل مجتمعه وأفكاره وحركية الثقافة فيه، وهو جزء أساسي من واقع حياة المجتمع، وأول ما يطلب من اللغة لحظة ميلاد صاحب التسمية هو أن يكون له اسم، وهو ما يختاره الآباء حتى يكون سمة بارزة تدل على مسماه، يميزه ويرتبط به في آنٍ معًا ارتباطًا يظل معه طوال حياته. وكان الاختيار للأعلام المشهورة من النساء في الإبداع العربي(ليلى وأخواتها) منذ الجاهلية لقراءة الدلالات الباطنة لاسم العلم المغايرة قربًا أو بعدًا لظاهر دلالته، مما تحتاج معها إلى دراسة متأنية لقراءة ما تحمله من دلالات مختبئة داخلها، لا يسعف ظاهر لفظها معرفتها إيمانًا بعمق العقلية العربية التي تتخطى الظاهر، وعمق الإبداع العربي الذي لا تعرف معانيه القيود ولا الحدود أو النفاد. وكان الاختيار للمؤنث؛ لأنه الأشيع في استخدام الذات العربية المبدعة، ويلقى صداه لدى الباحثة بما يتفق معها في التصنيف النوعي. والاختيار لدراستها في الإبداع العربي – الذي احتل الشعر فيه مكانًا كبيرًا – حيث كان منذ القدم أحد وسائل المجتمع العربي للتعبير عما يدور فيه وتصوير ضروب الحياة بداخله.[١]

لذا أرادت الباحثة الدخول إلى مجال (دراسة الأعلام) برؤية تجمع قديمه بحديثه، وخاصه بعامه؛ لبيان مدى دوران الاسم العلم المؤنث الشهير قديمًا وحديثًا تأصيلًا له وإثباتًا لقدرته على حمل دلالات يحتاجها كل زمان. فتخطى بذلك خصوصية الاسم

(١) انظر: جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة: حسين مؤنس، مطابع دار الهلال، ١٩٥٨، ج٣، ص٢٦٦-٢٦٧.

إلى عمومية المعنى والرمز المشير إلى دلالة أكثر من كونه تسمية لذا يصح إطلاقه على كل من وما يمثل المعنى، وإن كان الاتساع في المعاني كما ذكر (ابن رشيق القيرواني) في كتابه العمدة في باب الاتساع في المعاني" أن يقول الشاعر بيتًا يتسع فيه التأويل، فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعاني"[(١)] فقد حدث هذا أيضًا في أعلام الإناث (ليلى وأخواتها). ولم تهدف الباحثة إلى بيان معنى العلم وأقسامه وإعرابه مما تناولته الكثير من الدراسات القديمة والحديثة، وإنما كان الهدف هو الدراسة الدلالية من خلال التمثيل بأحد الأعلام المؤنثة والمجموعة المتصلة به دلاليًا؛ لبيان المرجع والدلالة وصلاحية الاسم لحمل الثقافة ومنجزات العصر. وللتدليل على مرونة اللغة العربية في العصور جميعها. وكذلك بيان كيف– من خلال كلمة واحدة هي اسم العلم– تنطلق دلالات شتى تبحر في آفاق عدة، تَجمَّع فيها الزمان مع المكان في متسلسلة دلالية غدت كأنها بذاتها قصيدة شعرية، تشفُّ فتصف ما بين جنبات النفس، وما تخفي الصدور في أقل من سطور، بل في مجرد تجمع حروف هي أصوات الاسم العلم. ومن المعروف أن عِلْم الدلالة هو الفرع الوحيد في العلوم اللغوية الذي لم يستطع علم اللغة إحكام قبضته عليه، ووضعه داخل إطار محدد وفق قواعد علمية صارمة، مهما حاول تأطيره في نظريات لغوية دلالية؛ وذلك لأن المعنى متفلت بتعدده وتغيره واتساعه، فتارة هنا، وتارة هناك وأخرى بينهما؛ لذا الدراسة فيه تبحر في أفاق تَعْبر به إلى عالم الأدب أحيانًا من خلال التأويلات الدلالية والمجازات اللغوية، ثم تعود به إلى أصله اللغوي دون عيب في ذلك، ولكنها حاجة اقتضتها الدلالة، فمن أجل بيان الدلالة خرج البحث إلى آفاق ربما لم تخطر ببال الشاعر مبدع النص، ومن أجلها يعود.

ولي ليلى في هذا البحث، وليلاي هي الوصول إلى دلالات (ليلى)، والربط بينها وبين (أخواتها) من خلال بعث دلالات هذه الأعلام من تحت الركام؛ لتأخذ دورها في

---

(١) القيرواني(أبو علي الحسن بن رشيق القيراوني): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل–بيروت، ١٩٨١، ط٥، ج٢، ص٩٣.

إقامة المعاني المرادة وبيانها. فدلالة الأعلام هنا زائدة على معنى العلمية المرتبطة بذات معينة، بل تخطتها إلى فضاء رحب من الدلالات. وبيان مدى صلاحية اسم العلم في أن يكون موضوعًا لبحث لغوي دلالي بحمله من الدلالات ورحابة الفضاء ما يحتاج معه القيام بسبر أغواره وإظهاره في شكل دراسة مستقلة. ولم يكن اهتمام البحث دراسة الأشعار التي وردت بها أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) فليس هذا هدفه، ولكنه يهدف إلى بيان الدلالات المشتركة لهذه الأعلام(ليلى وأخواتها) والتحليل الدلالي لاسم العلم المؤنث (ليلى) وفق الدلالات التي حملها منذ القديم، والتي انعكست على أخواتها فأصبحت بنفسها نصًّا. وإن تم إيراد بعض الأشعار فقد كانت للتمثيل، وليست للدراسة والتحليل. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي والاجتماعي.

ودراسة الأعلام معين لغوي لا ينضب في حياة اللغات ومسيرتها، ومجال خصب لدراسات في شتى فروع العلم اللسانية بالمستويات اللغوية كافة، ابتداء من الصوتي وانتهاء بالدلالي، وأيضا العلوم التاريخية والثقافية، وتظهر التسمية أيضًا الطبقة الاجتماعية والحالة النفسية للشعوب، وقد اهتم اللغويون منذ القديم ببحث دلالة الأعلام، وقد أدلى سيبويه في كتابه بدلوه في هذا المجال، فحاول أن يحدد ماهية الاسم العلم، وتناول موضوعات نحوية تتعلق بأسماء الأعلام. وكذلك تتابع اهتمام اللغويين بالدراسة اللغوية للأعلام، فكانت لهم مؤلفات متعددة قديمة وحديثة، تناولوا فيها قضايا لغوية تخص موضوع الأعلام، من أمثلة النكرة والمعرفة، والمبني والمعرب، وما لا ينصرف، والمنادى، والحكاية، وكتب الاشتقاق[1] مما يعين الباحث في دراسة الأعلام. وتوجد أيضًا دراسات حول الأعلام في المعاجم العربية والطبقات والتراجم والأنساب.

وقد تناولت دراسات سابقة موضوع الأعلام، منها دراسة عمر صابر عبد الجليل (أسماء الأعلام السامية، دراسة لغوية مقارنة في البنية والدلالة)، ودراسة رشيدة عبد

(١) انظر يوسف الفجال: الأسماء الأعلام في العربية وخصائصها(دراسة وصفية دلالية) ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي–الكويت، ، م٣١، ١٢٢،ع٢٠١٣، ص١٧ .

الحميد اللقاني (أسماء الأعلام العربية، دراسة لغوية مقارنة)، ودراسة إبراهيم السامرائي(الأعلام العربية، دراسة لغوية اجتماعية)، ودراسة صبري إبراهيم السيد (أسماء الأعلام المعاصرة، دراسة اجتماعية)، و(الأعلام في الشمال الأفريقي)، ودراسة عاطف مدكور(الأعلام الجاهلية دراسة في البنية اللغوية)، ودراسة محمد عبد الوهاب شحاته(أعلام النساء في كتاب الأغاني: دراسة صوتية صرفية)، ودراسة عبد المجيد الربعي(أسماء الأشخاص في مصر القديمة ودلالاتها مع مقارنتها بأسمائنا الحديثة)، ودراسة محمد سعيد الريحاني(الاسم المغربي وإرادة التفرد)، ودراسة عباس كاظم مراد(أسماء الناس ومعانيها)، ودراسة عمرو يوسف(أسماء المواليد ومعانيها)، ودراسة محمد إبراهيم سليم (أسماء البنات ومعانيها)، ودراسة سليمان العايد(أثر التسمية في بنية الكلمة وموضع إعرابها)، وموسوعة قابوس لأسماء العرب. وكذلك توجد للمستشرقين مقالات تناولوا فيها دراسة الأعلام[١] خاصة مقارنة أعلام العربية وغيرها من الساميات، وكذلك في القرآن الكريم والبلدان وبعض الأسماء التي يكثر تداولها في العربية. وتوالت الدراسات اللغوية الحديثة في تناول الأعلام العربية.

ويتضح مما سبق خصوبة هذا المجال في الدراسات اللغوية عامة، وكذلك على مستوى الدراسات الاجتماعية والنفسية والتاريخية والثقافية كما ذكر آنفًا. ويتضح مما سبق أيضًا أن الدراسات السابقة للأعلام تغلب عليها المقارنات العامة، سواء أكانت مقارنات سامية أم عربية أم بين القديم والحديث أم مقارنات خاصة بأماكن معينة، وكذلك تناول بعضها الناحية الاجتماعية[٢]، أو اللغوية الاجتماعية[٣]، أو اللغوية الصوتية والصرفية، أو كان بعضها دراسات لغوية معجمية للأسماء عامة أو طائفة

---

(١) انظر : فيبكا فالتر: أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي ، مجلة اللسان العربي ، ١٩٧٢، م٧، ص٢٠٨-٢١٠.

(٢) انظر: سامية الساعاتي، (دراسات اجتماعية ثقافية حول التحليل الاجتماعي للأسماء في مصر)، جريدة الأهرام الثقافية، ديسمبر ١٩٧٦.

(٣) انظر: إبراهيم السامرائي: الأعلام العربية(دراسة لغوية اجتماعية)، المكتبة الأهلية- بغداد، ١٩٦٤.

منها خاصة. والذي تعنى به الباحثة هنا هو الدراسة الدلالية كأحد فروع الدراسات اللغوية، وكما هو معلوم أن الدراسة الدلالية هي الغاية والمبتغى من وراء الدراسات اللغوية بمستوياتها المختلفة، وهي الأساس الذي وضعت من أجله اللغة كي يحقق الإنسان تواصله مع الآخرين في المجتمع؛ لذا تختلف الدراسة في هذا البحث عما سبق من حيث الدراسة الدلالية القائمة على طابع الرحلة المتنقلة في فضاءات الدلالة عبر المنهج الوصفي والاجتماعي، وكذلك تختلف في عينة الدراسة وفي النتائج.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخلاصة وخاتمة يليها مصادر البحث ومراجعه.

شملت المقدمة: موضوع البحث وسبب اختياره وأهميته ومنهج البحث والدراسات السابقة.

وشمل **التمهيد:** مدخل عام لموضوع البحث.

ثم عرض البحث بالدراسة والتحليل لدلالات أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) مع عناية خاصة بالعلم (ليلى) وفق فضاءات الدلالة المتسعة التي ترتبط به في الإبداع العربي وجاء هذا العرض في مبحثين على شكل أولًا وثانيًا.

المبحث الأول بعنوان: دلالات أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي

وفيه تناول المبحث بالتحليل الدلالي الدلالات المشتركة لأعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي، وعرضها في واحد وعشرين ملمحًا دلاليًّا، مرتبة وفق التسلسل الدلالي من العام إلى ما يليه، ومن الأصل إلى المترتب عليه.

المبحث الثاني بعنوان: دلالات العلم المؤنث(ليلى) في الإبداع العربي

وفيه أولى البحث عناية خاصة بالعلم المؤنث(ليلى) عن طريق شرح دلالات إضافية له في الإبداع العربي؛ لكثرة استعماله في الإبداع العربي مقارنة بغيره من أعلام الإناث، وقد تم عرض دلالاته في اثني عشر ملمحًا دلاليًّا متدرجة من العام إلى ما يليه.

ويلي ذلك خلاصة بعنوان: رؤية مختصرة لتدرج دلالات أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي

وفيها يعرض البحث لمتوالية الدلالات ومستويات الدلالة في أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) وفق رؤية كلية تمر بأهم مستويات الدلالة بها، في شكل نقاط مختصرة مجتمعة تشكل قراءة جديدة وأخيرة لهذه الأعلام في هذا البحث.

الخاتمـة: انتهى البحث بخاتمة بها أهم نتائج البحث وتوصياته، يعقبها ثبت المصادر والمراجع.

تمهيـــــد

نظرًا لقيام الإبداع العربي بتوظيف أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) توظيفات دلالية متعددة تجمعها قرابة لغوية دلالية تتبدى للناظر بها تؤكد عمق العقل العربي في استخدامه لهذه الأعلام، وقدرته على إظهار ما يريد، أو إخفائه وفق ما يريد، وتحميله إياها من خصب الدلالات العميقة التي لا تتكشف بسهولة بمجرد المرور العابر بالبنية السطحية وظاهر اللفظ لهذه الأعلام، بل تحتاج الصبر عليها، والسير معها شيئًا فشيئًا حتى تخرج ما بداخلها من مخزون الدلالات التي تقترب حينًا من ظاهر اللفظ، وتبعد عنه أحيانًا أخرى.

ويقتضي بيان تلك الدلالات البحث عن الدلالة الأولى التي انبثقت عنها سائر الدلالات الأخرى المتولدة تدريجيًّا عبر الاستعمال اللغوي في رحلة ذهاب وإياب منها وإليها بالحفر في طبقات الدلالات وتأويلها بما يبين رؤية الذات المبدعة والآخر المتلقي طرفي عملية الإبداع اللغوي العربي.

أولا: دلالات أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي

١ –أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) والدراسة اللغوية الدلالية

يمكن دراسة أسماء الأعلام من أكثر من زاوية لغوية، فمثلًا في المستوى الصوتي يمكن دراسة التطور الصوتي في كثير منها، وطرق نطقها، وعلاقة الأصوات بالمعنى، وغير ذلك كما يمكن درسها من الناحية الصرفية، وما يلحقها من تغيرات في البناء من قلب وإعلال ونسب وتصغير وتثنية وجمع وغير ذلك من الأمور الصرفية. كما يمكن درسها من ناحية التركيب والنحو وفق ما يمنعها من الصرف والمعرب والمبني منها وغير ذلك، ولكن الباحثة اختارت من مستويات التحليل اللغوي المستوى الدلالي ليكون هو مجال دراسة أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) في هذا البحث؛ حيث رأت أن الدرس الدلالي هو الهدف الذي من أجله وضعت اللغة، والمستويات اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية كلها وسيلة للوصول لغاية اللغة، وهي الدلالة؛ لتحقيق التواصل بين بني البشر في المجتمع الإنساني؛ لذا سعت الباحثة إلى معرفة قصد

المبدع والمتكلم العربي عند توظيفه لهذه الأعلام في إبداعه اللغوي. وقد اقتضى معرفة ذلك رحلة لغوية دلالية قامت بها الباحثة في فضاءات الدلالة العربية لأعلام الإناث(ليلى وأخواتها) بالرجوع إلى السياق اللغوي العربي الأول الذي استخدمت فيه في الإبداع العربي، ومنه انتشرت، وسبب انتشارها من خلال قراءة سريعة لقصتها الأولى ،وكيف عبرت بالمجاز إلى أفاق دلالية توسيعية تضيء النص اللغوي الذي وردت فيه. فالمعاني التي تنتظمها الألفاظ متسعة متعددة عكس لفظها المحدود. فكان لابد من إماطة اللثام عن دلالات هذه الأعلام المؤنثة (ليلى وأخواتها) بوصفها وحدة دلالية، بها تجمع من الملامح التمييزية بدأت من الإبداع الشعري وانطلقت لتغمر غيره من أشكال النصوص اللغوية العربية الأدبي منها وغير الأدبي.

٢-أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في ضوء الدلالة المعجمية للفظ العلم

يعرف العلم لغويًا بأنه" الشق في الشفة العليا، وقيل في أحد جانبيها....والعلم: المنار....والعلم: شيء ينصب في الفلوات يهتدى به الضالة....والعلم: الجبل الطويل....والعلم: الراية التي يجتمع إليها الجند، وقيل: هو الذي يعقد على الرمح....وأعلام القوم: سادتهم"(١). ومن خلال المعنى المعجمي ظهرت دلالات حسية، فمن خلال العلم يعرف المسمى/ المدلول، وتتميز الأسماء بعضها من بعض. و(ليلى وأخواتها) أعلام يصلح بعضها مكان البعض الآخر، فأصل لفظها يدل على معنى ينطبق على فرد أو مسمى بعينه ارتبط به من قبيل الاعتباط والمصادفة، فليس من إطلاق اسم معين على شخص يعني وجود صفة بينهم. قال (ابن يعيش)"الأعلام....نحو زيد فإنه يقع على الأسود كما يقع على الأبيض وعلى القصير كما يقع على الطويل....لذلك قال النحويون: العلم ما يجوز تبديله وتغييره....يجوز أن تنقل اسم ولدك....من خالد إلى جعفر....وإنما أتى بالأعلام للاختصار وترك

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر-بيروت، ١٩٦٨، مادة (علم)، ج١٢ ص٤١٦-٤٢٢.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل، ج١، ص٢٧.

التطويل لتعداد الصفات فأغنى العلم عن ذلك أجمع"[٢] فهو مسمى يميز من/ما أطلق عليه على جهة المماثلة في الحقيقة والصورة، ووصفه له من أبواب المجاز والاتساع في اللغة.

٣-أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) واشتراك الدلالة

مَن (ليلى)؟ ولماذا هي بالتحديد؟ ومَن هن أخواتها؟ ولِمَ تقدمت(ليلى) عليهن فاحتل اسمها الصدارة وأصبحت (أخواتها) تابعات لها؟ تحق هذه التساؤلات ليس لخفاء اسم العلم المؤنث(ليلى)، وإلا لما كان لهذا البحث داع، وليس له دافع، لكن العكس هو الصحيح، وهو انتشار هذا الاسم، فقد تعددت الليالي، وكثرت في شعر الشعراء، وتغنوا بها في كل بقعة من الوطن العربي؛ لذا اختارها البحث، فلماذا (ليلى)؟ لأن البحث حدد مادته(أعلام الإناث في الإبداع العربي)، ومن أشهر أعلام الإناث في الإبداع العربي (ليلى). ومَن هي (ليلى)التي يقصدها البحث بالضبط؟ تعود القصة إلى زمن الخليفة الأموي الثاني مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان، إنها (ليلى) العامرية معشوقة قيس بن الملوح(المجنون) الذي ذاب فيها عشقًا حتى بعد زواجها، فراح يسأل عنها زوجها، لكن حماه ما وصف به من الجنون من تطبيق عقوبة قاسية عليه، وصار مثلًا لغيره من العشاق، فهي من أشهر قصص الحب العذري في الثقافة العربية. إنها (ليلى) المجنون قيس بن الملوح، شاعرها المحب المفتون إلى درجة الجنون، الذي فاض به شعره، فغطى الكون أخبارًا وأشعارًا، ونظمه الشعر عن حب ليلى وفراقها كثر حتى أصابه الضعف والهزال ومس من الجنون، من ذلك قوله:

تذكرت ليلى والسنين الخواليا ∴ وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا

أعد الليالي ليلة بعد ليلة ∴ وقد عشت دهرا لا أعد الليالیا

أراني إذا صليت يممت نحوها ∴ بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

وما بي إشراك ولكن حبها ∴ وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا

أحب من الأسماء ما وافق اسمها ∴ أو أشبهه أو كان منه مدانيا

وإني لأستغشى وما بي نعسة ∴ لعل خيالا منك يلقى خياليا

هى السحر إلا أن للسحر رقية ∴ وإنى لا ألقى لها الدهر راقيا[١]

وقال أيضًا

أمر على الديار ديار ليلى ∴ أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي ∴ ولكن حب من سكن الديار[٢]

وقال أيضًا

خليليَّ إن ضنوا بليلى فقربا ليا ∴ النعش والأكفان واستغفرا لي[٣]

وقال

وبي من هوى ليلى الذي لو أبثهُ ∴ جماعة أعدائي بكتْ لي عيونُها

أرى النفس عن ليلى أبتْ أنْ تطيعني ∴ فقد جنَّ من وجدي بليلى جنونُها[٤]

وكذلك قوله:

يسمونني المجنونَ حين يرونني ∴ نعم بي من ليلى الغداة جنونُ[٥]

وقوله:

وشُغِلتُ عن فهم الحديث ∴ ما كان فيكِ فإنه شُغُلي

---

(١) قيس بن الملوح (مجنون ليلى): ديوان قيس بن الملوح، تحقيق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م، ص٦٤٥

(٢) السابق نفسه، ص٦٦٠

(٣) السابق نفسه، ص٦٦٠

(٤) السابق نفسه، ص٦٦٠

(٥) السابق نفسه، ص٦٦٠

وأُديم لحظ محدثي ليـــــــــرى ∴ أن قـد فهمـتُ وعندكـم عقلـــــــــي[١]

فسواء أكانت هذه القصة حقيقية أم محض زيف مجازي فقد تركت في الوجدان الجمعي العربي بصمة لا تنسى؛ مما جعل الناس تتداولها وتعيد صياغة مفرداتها وتغير دلالاتها كل وفق ما يعنيه. فمنذ ذلك العصر استخدم المبدعون اسم (ليلى) كناية عن محبوباتهم، والبعض نسبه للمجنون تخفيًا فيه، ونُسِب إليه أيضًا ما وجد من الشعر مجهول قائله وبه ذكر لـ(ليلى). ولأن القصة معروفة لذا سيكون البحث إشارة للمرجع الدلالي الماثل في أذهان الجميع دون الدخول في تفاصيلها، فالمعروف لا يُعَرَّف، وبغض النظر عن كونها حقيقة أو متخيلة، فالقارئ له حق التأويل بما قد لا يقصده المبدع أثناء صوغ إبداعه، فـ" الكلام إذا كان قويا ....احتمل لقوته وجوهًا من التأويل بحسب ما يحتمل ألفاظه وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه"[٢] فالإبداع القوي "الذي يحتمل مع فصاحته وكثرة استعمال ألفاظه وسهولة تركيبه وجودة سبكه– معاني شتى يحتاج الناظر فيه إلى تأويلات عدة وترجيح ما يترجح منها بالدليل"[٢] وتتعدد التأويلات وفق القراءات المتعددة للنص اللغوي.

ويلى(ليلى) من حيث الانتشار واشتراك الدلالة أخواتها (عزة) و(بثينة)، فهن محبوبات العرب الشهيرات، وهي أعلام مؤنثة تأنيثًا حقيقيًا، وألفاظها بها علامة تأنيث ظاهرة. ويدخل في هذا النطاق أيضًا جميع أسماء معشوقات العرب التي ظهرت في أشعارهم، فجميعهن أضحت رموزًا تشترك في المعنى الأساسي الأولى المركزي التصوري والمفهومي. والعلم المؤنث(ليلى) يكفي هنا للبحث في دلالاته لإدراك معانيه؛ لذا كانت هي الشخصية الرئيسة للبحث، وذكرت أخواتها(عزة وبثينة) على

---

(١) السابق نفسه، ص٦٦٠

(٢) ابن أبي الأصبع المصري(عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع): تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي–القاهرة، ١٩٩٥م، ص٤٥٤.

(٢) السابق نفسه، ص٤٥٥.

سبيل الاستشهاد والتمثيل والإحالة، وليس على سبيل البحث والتمحيص. والعلاقة بينها ليست علاقة أخوة وقرابة دم ونسب كما قد يفهم من ظاهر كلمة (وأخواتها)، وإنما هي أخوة القرابة اللغوية الدلالية التي تجعلها في حقل دلالي واحد تتزعمه (ليلى)، ويشمل(عزة وبثينة ومعشوقات العرب جميعهن). لذا سيدرس البحث الدلالات المشتركة بينها مع تفصيل الدلالة في (ليلى) وفق ترتيب الشهرة في الاستعمال، والكثرة في التوظيف العربي خلال الإبداع الفني. وسبب هذه التسمية التي اختارتها الباحثة لهن (ليلى وأخواتها) استدعاء لـ(كان وأخواتها)، فمثلهم في ذلك مثل (كان وأخواتها)، فمثلما لها جميعًا العمل النحوي نفسه في الجملة الداخلة عليها كان لـ(أخوات ليلى) هنا العمل الدلالي نفسه المستخدمة له(ليلى) في الدلالة العامة ذاتها موضوع البحث.

والأعلام وإن كانت متساوية تصلح جميعها للتسمية في اللغة، لكنها غير متساوية في الأهمية بالنسبة للاستخدام في الإبداع العربي وخاصة الشعري منه. فاسم العلم المؤنث(ليلى) من أكثر الأسماء العربية التي ذكرت في القصائد. وهو اسم عربي قديم يذكر من أيام الجاهلية، وحتى الآن تسمى به الفتيات، ويمتاز هذا الاسم(ليلى) بأنه اسم جميل له دلالة رومانسية وتتنوع دلالاته وفق ما سيعرض البحث؛ لذا تقدمت(ليلى) في التسمية على أخواتها(ليلى وأخواتها). و(ليلى وأخواتها) جميعها أسماء تشترك بشقها اللغوي مع المجتمع، ولكنها وظفت في سياقات الإبداع العربي لتحمل التصورات الذهنية مع الآخرين محركة للدلالات الخفية وملفتة النظر إلى مخزون العواطف لدى المبدع الذي دفعه إلى نظم إبداعه. فلما كانت هذه الأسماء المعروفة في الشعر العربي(ليلى وأخواتها) أعلامًا مشهورة صارت صالحة للدلالة على المعنى العام، وهو الأنثى المحبوبة، تتقدمها (ليلى)؛ لذا تم إعلان اسمها في أول عنوان ثنائية الطرفين (ليلى وأخواتها)، فكانت هي الطرف الأول المصرح به، وكن هن(الأخوات) الطرف الثاني المتواري في ظل ليلى التي كفت ووفت عنهن وزيادة. لذا قامت الباحثة أيضا بالتحليل الدلالي لهذا الاسم عقب بحث الدلالات المشتركة بينها

وبين أخواتها، فقد صار هذا الاسم (ليلى) علمًا عند العربي في القديم والحديث، فهو اسم ذو دلالة معنوية مشحون بقيمة لغوية دلالية تتسع من مجتمع محدد وبيئة خاصة وعصر معين إلى ما يشبه الرمز القسري، فتشير وتثير عند ذكرها لما ارتبطت به من دلالات.

وفي قول الشاعر

لئن أبكروا عهدا تقادم أو رسما ∴ فلا ساعدت سعدى ولا سالمت سلمى

وإن أقسموا أن العهود تنوسيت ∴ فلا أجزلت للوصل حظا ولا قسما

ولا بلغت نفس بلبنى لبانة ∴ ولا أسعفت ليلى ولا أنعمت نعمى

آسام تزيد العاشقين تحيرا ∴ قد اتفقت معنى كما اختلفت اسما

وهل هذه الأسماء إلا إشارة ∴ لمستفهم في شأنها يحسن الفهما!؟[1]

يظهر الاشتراك الدلالي بين (ليلى وأخواتها) في قوله (قد اتفقت معنى)

آسام تزيد العاشقين تحيرا ∴ قد اتفقت معنى كما اختلفت اسما

وفي الأبيات الشعرية السابقة يمكن الاتفاق مع الشاعر في أمر، والاختلاف معه في أمر آخر، فالأمر المتفق فيه أن أعلام الإناث التي ذكرها الشاعر في الأبيات السابقة أسماء مختلفة لمعنى عام واحد. ولكن الاختلاف معه في تساوي أهميتها وقدرتها الدلالية وطاقتها الكامنة، وكما هو واقع شيوع اسم العلم المؤنث(ليلى) شيوعًا كبيرًا أكثر من غيرها ويتضح من وصفها بقوله(ولا أسعفت ليلى) كونها أكثر من غيرها (سعدى– سلمى– لبنى– نعمى) في التوليد الدلالي حتى على مستوى قصيدته هذه، فكلها اشتق من حروفها أفعالًا تمثل معانيها المعجمية(ساعدت– سعدى) و(سالمت–سلمى)، و(بلغت نفس لبانة– لبنى)، و(أنعمت– نعمى) ماعدا (ليلى) فقد

(١) يوسف الثالث(ملك غرناطة): ديوان يوسف الثالث، تحقيق: عبد الله كنون، ط٢، القاهرة، ١٩٦٥.

غاير فيها الفعل من حيث الحروف(أسعفت) الاسم (ليلى) فولد منها معنى جديدًا أوحى بقدرتها الدلالية القوية التي تتخطى مجرد الدلالة المعجمية الظاهرة من حروف الاسم، فكان لها هذا المعنى هنا، ألا وهو(المسعفة)؛ لوجود معنى لغوي لـ(ليلى) يدل على النشوة المنعشة – كما سيتضح خلال البحث– فهي تصلح بوصفها مسعفة أيضًا، لكنها هنا استعصت عليه فما أسعفته، ويمكن تفسير هذا التمنع من قبل الرمز(ليلى) بأنه تأكيد لغموض المرأة المعادل لغموض الدلالة هنا الرامز لعدم قدرته على تحقيق ما تمنى من الوصل المعبر عن الغاية. ومهما حاول الاستعانة بأخرى وأخريات لم يزده إلا هجرًا وتألمًا ومعاناة. ثم أعقب كلامه أنها أسماء من وحي خيال الشعراء وحيلهم في التعبير عن المعاني ورسم الصور لتوصيل الدلالات.

٤-أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) ودلالة الترادف

الترادف كما عرفه (ابن جني) في كتابه الخصائص" تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني"[١] وذكر له أمثلة منها الخليقة والسجية والطبيعة والغريزة والسليقة. وعرفه (فخر الرازي) بأنه " الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[٢] وأعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي مثل المترادفات؛ لذا فهي قابلة للتبادل بينها في أي سياق ترد فيه إحداها نتيجة التقارب الدلالي الشديد في استعمال الذات المبدعة لها لدرجة يصعب معها التفريق بينها؛ لذا يستعملها المبدعون دون تحفظ على إحداها لصلاحيتها لذلك في الإطار العام وفق المشهد الكلي لسياق الإبداع العربي، فيتقارب التأثير العاطفي والتأثير الإشاري بينها فالترادف بينها موجود لا محالة بالنظر إلى التطابق في المعنى الأساسي وكذلك بإمكانية التبادل بينها في السياقات وأيضا بالنظر إلى أكثر من فترة زمنية واحدة وخاصة العلم المؤنث(ليلى)، فاشتراك(ليلى وأخواتها)

---

(١) ابن جني(أبو الفتح عثمان بن جني): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت عن طبعة دار الكتب المصرية، ط٢، د.ن، ج٢، ص١١٨.

(٢) السابق نفسه، الصفحة نفسها.

في مجموعة من الصفات التمييزية الأساسية أتاح هذا الترادف. فإذا قل استعمال إحداها مقارنة بـ(ليلى) تُعَرَّف بذكر (ليلى) فيتضح المعنى، وبذلك يكون للترادف فيما بينها دوره في توضيح المعنى.

وفي قول الشاعر الذي ورد في الملمح الدلالي السابق

آسام تزيد العاشقين تحيرا ∴ وقد اتفقت معنى كما اختلفت اسما

تظهر عبارة (قد اتفقت معنى كما اختلفت اسما) التي وصف بها الشاعر محبوبات العرب ممن وردت أسماؤهن بأشعارهم والتي أطلقت عليها الباحثة هنا تسمية(ليلى وأخواتها) تدل على مفهوم الترادف بين هذه الأسماء. ويُذَكِر ذلك الباحثة بالكتب الأولى التي وضعها العرب قديما في الترادف فقد استعمل بعضهم تعريف الترادف هذا عنوانًا لكتابه الذي بحثه فيه من ذلك الأصمعي فقد سمى كتابه في الترادف باسم(ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) ويدل ذلك على وعي الذات المبدعة أيضا بإمكانية التبادل بين هذه الأعلام في السياقات المتنوعة، وتعددها واختلافها إنما هو فقط على مستوى اللفظ الخارجي الظاهري لكنها متفقة على مستوى الدلالة والمعنى يوظفها المبدع العربي وفق ما يريد.

٥- أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) ما بين دلالة العطف والإضافة

يتوفر في موضوع البحث دلالة العطف اللغوي من خلال ثلاثة مستويات لغوية، الأول: عطف أخوات(ليلى) عليها عطفًا معجميًّا، والثاني: عطفًا نحويًّا، والثالث: عطفًا دلاليًّا، أما العطف المعجمي – كما في المعجم – هو الميل تجاه شخص ما، وأما النحوي فيظهر من تركيب(ليلى وأخواتها)، إذ هو من التوابع، أي: وجود لفظين متشابهين في سمات معينة، فهو يعني الربط بين لفظين بأحد حروف العطف(ليلى وأخواتها)، ولا مقام الآن لشرحه نظرًا لوضوحه من جهة، ولأن البحث يدرس الناحية اللغوية الدلالية فقط من جهة أخرى. ورغم ذلك يحمل العطف بدلالتيه اللغوية المعجمية والنحوية علاقة وثيقة بين اللفظ والمعنى(ليلى وأخواتها)، فالعطف بمعناه المعجمي متوفر فيه مراد البحث، وهو ميل الإبداع العربي إلى توظيف هذه الأعلام

(ليلى وأخواتها) باعتبارها رموزًا حمَّلها الوجدان الثقافي العربي عموم الدلالة بعد خصوصها، وكذلك ميل الشعراء إلى استعمالها خاصة العلم (ليلى). وكذلك معنى العطف النحوي وثيق الصلة بموضوع البحث، فأسماء أعلام الإناث المشهورات(ليلى وأخواتها) في مجال الإبداع العربي هي ليالٍ وليلات تحمل سمات مشتركة ومتشابهة يصح عطفها على (ليلى) نظرًا لأنها أكثرها استعمالًا وشهرة، فكانوا كما كان العطف بمعناه النحوي من التوابع فتبعوا هن أيضًا قائدهم الدلالي(ليلى)، وكانت أداة العطف هنا أيضًا(الواو) لتشارك وتؤكد موضوع البحث، فهي أكثر أدوات العطف استعمالًا مثل (ليلى) أكثر أسماء محبوبات الشعراء في الإبداع العربي استعمالًا في الشعر وغيره حينما يقصد بها المنال وتفيد المشاركة فقد شاركت أخواتها في حكمها الإعرابي والدلالي هنا أيضًا فاشتركوا جميعًا في سمات عامة.

أما العطف من الناحية الدلالية فيشمل دلالتين، أولهما: العطف على (ليلى وأخواتها) عطف إضافة دلالية، فخلع عليها الكثير من الصفات التي قد لا توجد بها أصلا باعتبار مرجعها الأول كمحبوبة شاعر معين فقد وظف الإبداع العربي أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الجمع بين دلالتين هما العلمية والإضافة مما ساعد على اتساع معناها. الدلالة الثانية هي عطف/ استعمال/ ميل المحبين لصفات العلم المؤنث (ليلى) وكذلك أخواتها التي ذكرت في الشعر فأحبوها وأحبوا اسمها وصار جميلا لجمال ما وصفت به وغدا مطلوبًا لتمثيلها غاية الطلب وعين المراد المحبوب.

٦-أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) ما بين دلالة النقل والانتقال

وليس من البعد بمكان أيضًا القول: إن هذه الأعلام(ليلى وأخواتها) حدث فيها نقل للدلالة، وانتقال المعنى له صور متعددة منها" الاستعارة – إطلاق البعض على الكل-

المجاز المرسل بوجه عام"[١] فصارت (ليلى وأخواتها) مثل التعبير عن أحد أعضاء الجسم باسم عضو آخر، فكانت (ليلى أو إحدى أخواتها) إحدي بنات حواء التي تستخدم للتعبير عنهن جميعًا حال اشتراكهن فيما اشتهرت به في الشعر العربي، ومما ساعد على هذا القول اشتمال المقصود بها الآن حين إطلاقها على مجازات متعددة قائمة على التخيلات المطموح إليها وخاصة في مجال الكناية، فالمجاز عامة "يعطي نوعًا من الخلود للأسلوب"[٢] لذا ساعد التخييل عن طريق نقل معاني هذه الأسماء (ليلى وأخواتها) على الحركية الصالحة لكل زمان، فـ" المجال الوحيد الذي يمكننا أن نختار فيه بدون تقييد حريتنا هو التخيل"[٣] . فيتضح من ذلك أن أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) تحمل دلالة الانتقال من أصل دلالتها على ذات بعينها إلى معنى أو معان. وتفسير ذلك كما ذكر (ابن جني)" فإن قلت: لم قلت الأعلام في المعاني وكثرت في الأعيان نحو: زيد وجعفر وجميع ما علق عليه علم وهو شخص قيل: لأن الأعيان أظهر للحاسة، وأبدى إلى المشاهدة، فكانت أشبه بالعلمية مما لا يشاهد ولا يرى حسًا، وإنما يعلم تأملًا واستدلالًا، وليس كمعلوم الضرورة للمشاهدة"[٤] فانتقلت دلالة هذه الأعلام(ليلى وأخواتها) عبر الفضاء اللغوي الدلالي من دلالة الأعيان إلى دلالة المعاني المنشعبة إلى دلالات شتى يجمعها رابط عام. فأصبحت (ليلى وأخواتها) في استعمال الإبداع العربي كما ذكر البحث مثل أعضاء البدن الواحد يعبر باسم إحداها عن الأخرى، وتصلح مكانها.

---

(١) فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، الأنجلو المصرية، ١٩٥٠، ص٢٥٦، وانظر: استيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، ط١، د.ن، ص١٦٥.

(٢) *S.Ullmann: Meaning and style, oxford.1973,* ص٤٤

(٣) *S.Ullmann: Meaning and style* ص٤٦

(٤) ابن جني: الخصائص، ج٢، ص١٩٧.

٧-أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) ودلالة الوصف

العلم قد يشيع ويصبح وصفًا من أوصاف اللغة مثل (ليلى وأخواتها) في هذا البحث خاصة(ليلى)، فـ"متى خطر العلم في ذهن أحدنا خطرت معه مجموعة من الصفات المعينة التي ترتبط به ارتباطًا وثيقًا في ذهن المتكلم والسامع، بل في أذهان كل من عرفوا صاحب هذا العلم. فإذا اشتهر صاحب العلم ذاعت وشاعت صفاته في نطاق واسع حتى تنتظم جميع أفراد البيئة اللغوية، وهنا يمكن أن نتصور أن هذا العلم ينتقل إلى وصف من أوصاف اللغة متى أطلق دعا في الأذهان تلك المجموعة من الصفات"[٤].حتى صار يضرب به المثل مثل (حاتم) للكريم، ومثل العلم (ليلى) هنا كما سيبين البحث في الصفحات القادمة. فهكذا تحول العلم إلى دلالة عامة مرتبطة بمجموعة من الصفات معروفة لدى مستخدمي العلم.

٨- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) ودلالاتها المتصلة بالبيئة

خضعت أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) عند إطلاقها في العصر الجاهلي لما في البيئة العربية المحيطة. فللبيئة بشقيها الطبيعية والثقافية أثرها في التسمية واستدعاء الاسم، فالعربي عند إطلاقه التسميات اقتبس ذلك من مصادر متنوعة تتصل بالبيئة المعاشة التي لها سلطانها القوي في ذلك وكذلك نمط التفكير والعادات والتقاليد التي سادت المجتمع. فيظهر في التسميات مظاهر البيئة وظواهرها، والتسمية بما حول الإنسان من حسي ومعنوي وحي وجامد، ولكل بيئة مسميات تركن إليها منبعثة من ثقافتها المحملة بما يقاربها، وتتابع عليها الأجيال وفق ما يجد لها بما ينطبق مع طباعها. وكانت العرب في تسمياتها للإناث تبحث عما يبتعد عن كل ما من شأنه أن يحمل دلالات جسدية حماية للمرأة وصونًا لها حتى على مستوى التسمية، فالأنثى حرم يجب ألا يمس بما يسيء، فكانت أسماء الإناث تحمل دلالات نفسية وعقلية لا تثير الغرائز، ولا تشير إلى ما يجب ستره، فسموهن أسماء ذات دلالات لا تبيح لخيال المتلقي الذكوري التلذذ بما قد تحمله دلالة الاسم من صفات متخيلة لحاملته. فقد "كان الجمال البارع للمرأة يعرضها لكثير من المضايقات، ويزيد من احتمالية خطفها

وسبيها، ويشهر أهلها بين العرب حتى يترامى الأضياف على بيت أبيها، ويكثر المرتادون لحماها بشيء من الذرائع لرؤيتها، وتنتقل أخبارها بين الناس حتى بعد زواجها، ويتنافس عليها الفرسان والشيوخ، وتكون سببًا للعداوة بينهم، وربما كانت نذير شؤم لزوجها وخلق العداوة له ومدعاة لقتله طمعًا في الحصول عليها وحسدًا منهم لما حازه زوجها من أغلى ملذات الحياة ومتعها عندهم"[١] لذا حرص العربي على حمايتها حتى على مستوى الألفاظ.

وترسم الأعلام العربية – خاصة في القديم – خريطة لغوية جغرافية للبيئة في ذلك الوقت يمكن من خلالها رؤية تقاليد المجتمع وطرقه في التخاطب وطريقة تعامله في المواقف الحياتية المتنوعة ما بين استقرار وترحال وحرب وسلم وغيرها من ضروب الحياة مبينة ما سيطر عليه من أمور نفسية، وما حوته بيئته من مظاهر طبيعية، وما عاش فيها من أصناف النباتات والطيور والحيوانات، وما فيها من شتى أمور الحياة. لذا كان اختيار العربي لأسماء أعلام الإناث (ليلى وأخواتها)، فـ(ليلى) اسم مستمد من ظواهر البيئة الطبيعية لدوافع تبينها متسلسلة الدلالة لهذا الاسم كما سيعرضها البحث في الصفحات القادمة الخاصة بذلك. وأيضًا من أعلام الإناث الشهيرة في الإبداع العربي(عزة) من العزة، والاسم من الصفات المعنوية التي حرص عليها العربي وفخر بها لذا استخدمها في تسمياته و(بثينة) مصغر بثنة، وهي الأرض السهلة اللينة، وقيل: الرملة الناعمة[٢]، فالاسم مستمد من البيئة المحيطة بالعربي قديمًا. وهكذا كان العربي باحثًا في تسميته عن الأشياء التي تخفف من وعورة البيئة بطابعها الصحراوي، فيأنس بها ومعها. ويمتد ذلك في تسميته للإناث عامة.

---

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: أيام العرب في الجاهلية ،المكتبة العصرية –بيروت، د. ط، ص٢٢١.

(٢) انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة (عز) ومادة (بثن).

٩- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) ودلالة الأنثى/ المرأة

اهتم الإبداع اللغوي العربي – وخاصة الشعري منه – منذ نشأته بالمرأة، فصورها في أشكال متعددة توضح الأدوار المختلفة التي تؤديها المرأة في المجتمع، والناظر في هذه الأشكال الشتى يجد شكل المحبوبة شغل جل قصائد الشعراء قديمًا وحديثًا، سواء أكانت معادلًا طبيعيًّا أم رمزيًّا لما يريد الشاعر أن يقول، وركز هذا الإبداع العربي في الذاكرة الجمعية العربية. ويمثل هذا الحضور الكبير للمرأة في شعر الشعراء منذ القديم الطبيعة البشرية التي لا تستقيم بدونها، فتزيل القصيدة ما قد يضعه الواقع من صعوبات وعقبات تحول دون اللقاء، وتحل أزمة الواقع بمتخيل تنفسي يتيح للشاعر تحقيق التواصل الذاتي والفكري مما يقلل من جفاء الواقع وقسوته، فأدى هذا إلى الاتساع محاولة تخفيف الهم الذي أرق الشعراء، فكانت المرأة بذلك متنفسًا يبث من خلالها المبدع العربي رؤيته، فكان هذا التجسيد الأنثوي لفكرته في صورة نسائية، وأخذ شكلا أنثويًّا أكثر من مرة، مرة بتعبيره عما جال بخاطرته من خلال تجسيده في ميلاد قصيدة تعبر عن رؤيته وأحلامه، ومرة أخرى بذكر اسم الأنثى داخل قصائده. وبناؤه لمكونات هذه القصائد بناء تحتل الأنثى فيه مكانًا واضحًا وبارزًا إن لم تكن هي مفتتحه. مما يثبت الحضور الأنثوي للمرأة في عالم الرجل، فاكتمل بها بناؤه الفني اللغوي، كما أنها قوام أساسي لحياته الواقعية. فقد غادرت (ليلى وأخواتها) عالمها المرجعي الحقيقي الواقعي المادي لتتحرك في فضاء دلالي تأخذ فيه دلالات شتى بفضل ارتباط الذات العربية المبدعة بها وارتياحها لها، فصارت (ليلى وأخواتها) كيانًا استعاريًّا، مادته اللغة أخفى الوجود المرجعي الأصلي للشخصية الأصلية، موظفًا إياه في حسن التعامل مع معطيات الأحداث ومتغيرات الواقع.

١٠-أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) ودلالة الاستبدال والاختيار

تنوعت دلالة أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي ما بين الاستبدال والاختيار، أي" استبدال المعنى الأول الأصلي لها كأفراد محددة إلى دلالة الاختيار والانتقاء بناء على محلها الدلالي الأول؛ مما يساعد على إبراز قدرتها على الإيحاء

داخل النص الموظفة فيه توظيفًا اختياريًّا من الذات المبدعة التي لا تهمها من المعنى الأصلي سوى بعض عناصره المميزة.

١١- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) ما بين دلالة الهوى ودلالة الرمزية

فالأنثى التي تطل من قصائد الشعراء منذ القديم مهما تعددت أسماؤها واختلفت تسمياتها تجمعها دلالات رمزية نصية تجعلها متقاربة على المستوى الكلي الباحث في فضاء الاستعمال ودواعيه، فتصبح أعلامًا لمعنى دالة عليه واصفة له ويساعدها على ذلك صفة التخيلية في الإبداع الشعري. وهنا تأتي تساؤلات، وهي: هل دلالة الهوى والعشق المرتبطة بأعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي حقيقية؟ أم أن ما صوره الإبداع العربي في الولوج إلى داخل الذات وإخراج ما تعانيه من ويلات الهوى كان محض خيال؟ وهل تتسق هذه الدلالة المرتبطة بهذه الأعلام خاصة في الإبداع الشعري مع المحتوى العام للقصيدة التي وردت بها؟

وهنا تكون الإجابة جل واضحة، ألا وهي: النفي، فلا يمكن القراءة السطحية لهذه الأعلام(ليلى وأخواتها) باعتبارها دالة على ذات معينة لسببين:

أولهما: إذ كيف يحدث تناقض بين مطلع القصائد وصلبها في العاطفة والموضوع من حب وعشق وهيام وغزل إلى حرب وغزو وهجاء وهرم وغيرها من الأغراض في قصائد الشعراء، فلا يمكن أن يتحول المرء من هذه لتلك بين غمضة عين في مقدار بضعة أبيات من الشعر، فيفرح ويحزن ويحنو ويقسو في آن معًا. حيث يوجد تباين شديد بين الدلالة الأولى(الهوى والعشق) للعلم المؤنث(ليلى وأخواتها) وبين الجو النفسي العام للنص الشعري الواردة فيه، فهي كما ذكر البحث غالبًا ما ترد في مطالع القصائد، ثم يحدث انحراف دلالي يأخذ النص الإبداعي في اتجاه مغاير لما كان عليه في مطلعه من الجو النفسي والفكر الدلالي، فتوجد موضوعات عدة في قصائد ذكرت بها (ليلى وأخواتها)، ولم يكن العشق والهوى هو غرض القصيدة الأساسي، وإنما حرب وفخر وثأر وتهديد ووعيد ورثاء وغيرها من موضوعات القصائد. ومن المعروف صعوبة الانتقال من حالة نفسية تمثل الهوى والعشق والغزل إلى حالة نفسية أخرى

تعبر عن أغراض أساسية لكتابة القصيدة في الجاهلية وفق ما سبق. وهذا وإن دل على شيء يؤكد أن أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) داخل الإبداع العربي هي محض إشارة إلى ما يريد الشاعر، فهي رمز جسده الشاعر في شخصية أنثوية يتسع من خلاله في الدلالات محملًا إياها ما يريد وما يعن له من قريب أو بعيد منجزًا بها تجربته الشعرية في شقها التأويلي بعيدًا عن كونها حقيقة مؤكدًا عمق الوعي العربي في إنجاز ما يريد عبر تقنية لغوية دلالية نفسية يمكن تسميتها الظهور المستتر أو الخفاء الظاهر الممثلة في أعلام الإناث(ليلى وأخواتها).

ثانيهما: كثرة أسماء النساء في قصائد الشعراء فقد تتعدد في الديوان الواحد وأحيانًا في القصيدة الواحدة ويفهم من ذلك أنه من غير المعقول أن تكون كل هذه الأسماء تشير إلى نساء لها وجود حقيقي وجسدي في أرض الواقع، أو أن يكون وقع بين الشاعر وبينها حب وعشق وهيام، فكيف يكثر هذا على النحو الموجود من مطالعة قصائد الشعراء في ظل عادات المجتمع العربي وتقاليده المحافظة على الأعراض " لأن الناس فيما يبدو لا يقبلون في يسر أن يشتهر عنهم حديث الحب وسيرة القلب، وأن تذيع أسماؤهم الحقيقية وكناهم المشهورة وأسرهم المعروفة في حوادث الصبابة والوجد في معظم الثقافات، فكيف يسهل ذلك في مجتمع مثل مجتمعنا العربي الشديد الغيرة على الأعراض"[(١)]. فلا مفسر لذلك غير تأويل هذه الأعلام(ليلى وأخواتها) بما يناسب مرمى كل شاعر، فهي رموز، وليست ذواتًا حقيقة؛ مما يحقق اتزان الموقف في الإبداع العربي وعدم تناقضه مع مسلمات الأمور وطبائع البشر ونفسيات المتكلمين. فلا يمكن تفسير ذلك بقصره على المنفذ الواقعي فقط والإصرار على واقعية التجربة الإبداعية الشعرية على الرغم من مغايرة ذلك لواقع الحياة في المجتمع العربي، وخاصة الجاهلي وعاداته وتقاليده. فلا تؤدي وظيفتها في حدود الإخبار عن ذات معينة، بل أصبحت وظيفتها رمزية تحمل إرثًا ثقافيًا ورصيدًا تراثيًا يختزل ذلك بمهارة

(١) سامي الدهان: سلسلة فنون الأدب العربي: الغزل، القاهرة، ١٩٥٤،ج٢، ص٢١٢

وبراعة فائقتين، فيكون ما بداخلها كنزًا ثمينًا من الدلالات التي تطلع المنقب عنها من خلال الغوص بأعماقها على مصادر الإلهام المتعددة التي قام عليها النص الإبداعي، فتعقد بين النص الواردة فيها ودلالته وأصله التراثي الثقافي سلسلة متصلة الحلقات متشعبة الاتجاهات.

١٢- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) ودلالة الإيحاء

يمكن القول إن أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) أعلام إيحاء، بمعنى أنه يوجد بها رصيد الثقافات والاستعمالات منذ القديم حتى الآن، فأصبح كل منها بنفسه نصًّا ورمزًا مختزلًا يختزن النصوص الوارد فيها، ويستدعيها في ذهن المتلقي دون حاجة إلى ذكرها، ويفتح الدلالة على بواعث الإلهام ودوافعه المختلفة. فيصبح الاسم عالَمًا كبيرًا يسكن الإبداع العربي، يمزج التجربة بالثقافة، تولد فيه مواقف من التراث تؤكدها الظروف فتلقى صداها في الاستعمال. ووظفت أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي توظيفًا دلاليًّا إيحائيًّا للاستفادة من الخبرات السابقة للآخرين ممن وظفوها في الإبداع العربي منذ العصر الجاهلي، فغادرت مسكنها الواقعي إلى عالم الإبداع الأدبي، فانتفت عنها دلالة التعيين إلى دلالة التعميم، فأصبحت في سياق الإبداع العربي لا تمثل امرأة واحدة من النساء، بل تشمل كل النساء، والنساء تشمل دلالة المراد والمبتغى الجميل حلم الذات المبدعة التي تسعى للوصول له حتى وإن كان وصولًا عن طريق الخيال.

١٣- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) ودلالة الإشارية

يتماشى التوظيف الدلالي لـ(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي مع النظرية الإشارية في علم الدلالة على نحو ما يوجد في كتاب أوجدن وريتشاردز the Meaning of Meaning كما أوضحاها بالمثلث المعروف[١] ، والذي يمكن تمثيله على (ليلى وأخواتها) كما يلي

---

*(1) C.K.Ogden and I.A.Richards:The Meaning of Meaning,10th ed,G.B.,1972.7*ص

الفكرة– المرجع– المدلول

الدلالة الرامزة للمبتغى

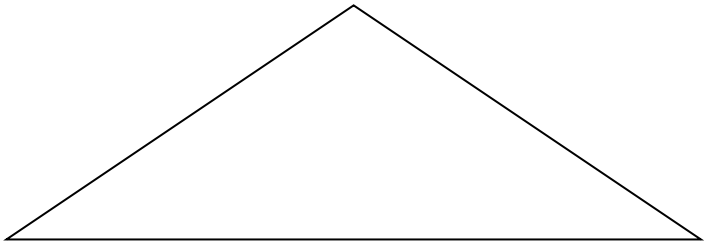

الشيء الخارجي– المشار إليه **الرمز– الكلمة – الاسم**

المعنى المقصود **ليلى وأخواتها**

فالمعنى هكذا هو العلاقة بين الاسم وما يشير إليه؛ لذا لابد من دراسة الجوانب الثلاثة للمثلث؛ لأن الوصول للمراد المقصود يحدث عن تصوره. فعند إطلاق كلمة(ليلى) أو(إحدى أخواتها) وفق هذه الدلالة بوصفها عَلَمًا يكون المشار إليه غير محدد بأنثى بعينها، بل يمكن أن يطلق على أي أنثى، فهذه الأعلام يمكن أن يقال: إنها أصبحت تشير إلى طبقة المحبوبة الرامزة للمبتغى المختلف من ذات إلى أخرى وفق رغباتها وآمالها، فجمعت بين الاتفاق والاختلاف الاتفاق في العام المبتغى والاختلاف في نوعه حسب ما هو عند كل شخص، ويذكر ذلك بقول الشاعر الذي ورد سابقا في البحث وهو:

وهل هذه الأسماء إلا إشارة ∴ لمستفهم في شأنها يحسن الفهما!؟[1]

أي هي أسماء متنوعة تشير لفضاءات دلالية متعددة مما يدل على وعي الذات المبدعة بخروج هذه الأعلام(ليلى وأخواتها) عن إطار التجسيد الأنثوي المعروف إلى فضاءات دلالية أخرى يدركها من يحسن تأويلها عبر الإشارية المفهمة.

---

(١) يوسف الثالث(ملك غرناطة): ديوان يوسف الثالث. انظر في هذا البحث: (ليلى وأخواتها واشتراك الدلالة) ص١٧،١٨و(ليلى وأخواتها ودلالة الترادف) ص١٩.

١٤- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) ودلالة الغاية(التماهي الدلالي) (الاختلاف والاتفاق)

وتتابع حلقات سلسلة الدلالات المتوالية في (ليلى وأخواتها) خلال توظيف الذات المبدعة لها في الإبداع العربي مما يُوصل إلى الحلقة التالية، وهي دلالة الغاية التي سببت لها الصدارة في قصائد الشعراء وإبداع الأدباء. فأعلام الإناث(ليلى وأخواتها) تعد رمزاً يعبر عن الوسيلة (الأداة) التي توظفها الذات في سبيل إدراك غاية، وهي في الوقت ذاته تمثل الرمز المعبر عن هذه الغاية وفق السياق الذي تظهر فيه. إنها الأنثى التي توظف الذات المبدعة كل طاقاتها في سبيل إرضائها، ورضاؤها عليها هي أن تتحقق لها وتصير وجودا كل وفق غايته. ويظهر مما سبق التماهي الدلالي بين(ليلى وأخواتها) كدال، والمراد المبتغى كمدلول. وقد تعددت توظيفات المبدعين لهذه الأعلام للدلالة على الغاية، وخاصة(ليلى)، فمن ذلك قول (الأعشى) في تصويره لما يحول بينه وبين غايته المشار لها بواسطة الرمز(ليلى)

وكم دون ليلى من عدوٍ وبلدةٍ ∴ وسهب به مستوضح الآل يبرقُ[١]

فهنا كان استعمال العلم المؤنث(ليلى) رمزا يقصد به الغاية، التي لابد من السعي الجاد والعناء في سبيل تحقيقها. ومن ذلك أيضًا قول الشاعر (يزيد ين معاوية بن أبي سفيان):

إذا رمتُ من ليلى علي البعُدِ نظرةً ∴ تُطفِّي جوي بين الحشا والأضالعِ

تقولُ نساءُ الحي تطمعُ أن ترى ∴ محاسنَ ليلى متْ بداء المطامعِ

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ∴ سواها وما طهرتها المدامعُ

---

(١) الموسوعة الشعرية، الشعراء والدواوين، الأعشى.

(٢) السابق نفسه، يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

وتلتذُ منها بالحديث وقد جـــــرى ∴ حديثٌ سواها فـي خـروق المسامـــعِ

أُجِلُّك يـا ليلى عن العين إنمـــــا ∴ أراكِ بقلبٍ خاشعٍ لكِ خاضـــــعِ (١)

فالشاعر يصور حاله ما بين ذاته والعالَم والغاية المنشودة المشار لها بالرمز(ليلى)، ويفتح للمستقبِل آفاق التأويل كي يتصور كيفية وصول الذات إلى ليلاها/ غايتها في زحام الواقع ما بين مساعد ومعاد ومحايد، فيستمر صراع الشاعر/ الإنسان في سبيل الوصول إلى ليلاه المرادة منطلقًا في حل أزمته بما يتناسب مع رؤيته. وبين الذات والغاية(ليلى) توجد المسافات وتُخلق الصعاب، فتشكلها الذات في صورة فنية رامزة ما بين بسيطة ومركبة منحتها شكلًا إنسانيًّا، فكانت(ليلى) مظهرة المعاناة لغياب اللقاء بين المحب ومحبوبته التي هي في الحقيقة غايته(ليلاه).

١٥- أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الحقل الدلالي ما بين الأساسي والثانوي

مما سبق يتضح انتماء أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي إلى حقل دلالي واحد، وهو حقل المبتغى/المراد/ الغاية – كما وضح البحث – والحقل الدلالي" هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة"(٢). ويمكن ترتيب هذه الأعلام(ليلى وأخواتها) من حيث الأساسي والثانوي داخل الحقل الدلالي وفقًا للمرسل والمتلقي العربي في سياق الإبداع العربي المتراكم مما يكشف صلتها الواحد منها بالآخر وصلتها بالمعنى العام الذي أصبحت تدل عليه، فيتضح أن كلمة(ليلى) بالنظر إلى شيوع الاستعمال هي الكلمة الأساسية في هذا الحقل الدلالي الذي تشترك فيه هذه الأعلام. فهي ذات تميز وبروز بالنسبة لأخواتها(عزة) و(بثينة) و(سلمى) و(لبنى) و(سعدى) و(نعمى) و(هريرة) وغيرها من أسماء معشوقات العرب في إبداعهم. وغيرها يعد كلمات هامشية في ذات الحقل بالنسبة لاستعمال ابن اللغة

---

(١) السابق نفسه، يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) ص٢٦، ص٢٧. *S.Ullmann. ،Meaning and style. Oxford.1973*

في توظيفه الدلالي لهذه الأعلام خلال إبداعه. ويتضح أيضًا أن بين(ليلى وأخواتها) علاقة اشتمال أو تضمن تتزعمها (ليلى) فهي الكلمة الرئيسة في هذا الحقل ويندرج أسفلها باقي أخواتها؛ لذا قامت الباحثة بيان دلالاتها في المبحث الثاني من هذا البحث (ثانيا)؛ نظرًا لأهميتها في سياقات الإبداع العربي من حيث الشيوع والاستعمال والتوظيف الدلالي؛ ولأنها تعم باقي أخواتها. فيتضمن لفظ(ليلى) أخواتها، ويشمل دلالاتها فينهما علاقة الكل بالجزء والعكس، فغدوا كيانًا واحدًا.

١٦- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) بين الحقيقة والمجاز

أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) – وخاصة(ليلى)- أصبحت في الحقيقة مجازًا لكل محبوبة وكل مبتغى، بل يمكن القول: إنها تمثل الحياة عامة تمثيلًا إبداعيًّا بكل ما فيها، فأصبحت(ليلى وأخواتها) مثل الحياة جمع بينهما النوع/ المؤنث والصعاب والمعاناة. فأصبح على المستوى الدلالي هناك ارتباط بين (ليلى وأخواتها) المرأة و(ليلى وأخواتها) الحياة وبين الواقع والتوظيف الدلالي الإبداعي نتجت عنه اللغة/ القصيدة لتتحول الذات المبدعة من المعاناة إلى الانتصار، فهي تمثيل معنوي لحالة داخلية انتصرت بها النفس على همومها بمنجز لغوي إبداعي خفف معاناتها، وحقق لها الطمأنينة والراحة المتخيلة.

١٧- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) ودلالة الصدارة(الأولى)

تركزت أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) في مطالع القصائد الجاهلية – وخاصة البيت الأول من المطلع- مما يدل على مكانتها عند العربي(غايته) على المستوى الواقعي الذي انعكس في إبداعه، فجعلها مفتتحه وأوله، فكانت الأنثى/المرأة أول ما شغل خياله عند كتابة إبداعه، وقلما وردت في المقاطع الداخلية، وإن وردت فستكون مرات قليلة في قصائد ليست بالكثيرة ،وغالبا يكون الاسم غير ما ذكر في المطلع، وإن كان هو فسيكون من الناحية اللغوية مغايرًا في الصيغة التي ورد عليها في المطلع مثل أن يكون مصغرًا أو مرخمًا.

١٨- أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) بين المرجع واتساع الدلالة

ينظر هذا البحث إلى الإبداع اللغوي العربي بنوعيه الشعري والنثري الذي تشغل فيه أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) – وخاصة اسم العلم المؤنث(ليلى) – أنه وحدة قائمة الذات، ونص عربي جامع متكامل، أو مجموعة نصوص بينها نسب وتقارب وتكامل، يسمو اللاحق منها بالسابق إلى مستوى الإيحاء؛ مما يتسع بدلالة النص الأول السابق، فتعمم الدلالة فيما تلاه من نصوص لغوية تسمو بها إلى مستوى الدلالات الإيحائية. فكأن مصير أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي هو الانقطاع عن الواقع الذي كان لها في الأصل من حيث الوضع مما يجعلها مؤهلة لتصبح رمزًا يكتسب طاقة متجددة تختزن الدلالة بداخلها، فيجعلها صالحة للتداول داعية للتأمل لدرجة تحولها إلى شكل المثل مادام استخدامها متجدد الدلالات خلال الإبداع العربي؛ مما ينفي عنها سمة الابتذال لكثرة الشيوع والاستعمال، بل تبقى رمزًا متجددًا له دلالاته المبدعة.

فقد حدث مع هذه الأعلام ما يعرف في علم اللغة بالتوسيع الدلالي أو تعميم الدلالة وفق ما استقر عليه المصطلح في علم الدلالة الحديث و"يقع توسيع المعنى ....أو امتداده....عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام"[(١)]، فتم الانتقال من المرأة المحددة المقصودة من شاعر بعينه (ليلى) قيس بن الملوح أو (عزة) كثير أو(بثينة) جميل أو غيرها إلى دلالة عامة تدل على المحبوبة/ المبتغى/المراد/ الغاية أيا كان المتمنى، أي: (ما يتمناه الإنسان ويفكر فيه ويشغل خاطره) أيًا كان الإنسان.

وكما ذكر د. إبراهيم أنيس في كتابه(دلالة الألفاظ) أن" تعميم الدلالات أقل شيوعًا في اللغات من تخصصيها، وأقل أثرًا في تطور الدلالات وتغيرها" [(٢)] فقد رصد البحث هنا هذه الظاهرة التي حدث فيها تعميم للدلالة– رغم قلته – حتى أضحت علمًا

---

(١) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م، ص٢٤٣.

(٢) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٢، ص١٥٤.

على هذا المعنى؛ مما يثبت قدرة بعض الكلمات على القيام بتغيير المعاني نحو التعميم، ويثبت قدرة المرأة من خلال التسمية أن تترك بصمة واضحة تتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل مع وضوح الدلالة وعدم اللبس فيها.

وبذلك لم تعد(ليلى وأخواتها) مجرد فرد أو مجموعة أفراد، فتوسيع الدلالة أو تعميمها" أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل"[١] فأصبحت تدل على الكثير من النساء وتوسع مجال استعمالها فشملت ذلك كله ممن يحمل الدلالة العامة ذاتها. فـ" كثير من أسماء الأعلام قد تدخل اللغة ككلمات عادية فيتسع مدلولها"[٢] [٢] مثل الحال مع العَلم (ليلى وأخواتها)؛ مما يوسع دلالة(ليلى وأخواتها)، ويضيف عليها رصيدًا ثقافيًّا إبداعيًا يفهمه كل عربي، فهي ملهمة الشعراء على إبداع القصائد بتحريك العاطفة، إنها تلك الهموم التي تعتري الذات المبدعة من أمر ما، فتحرمها النوم، وتمنعه عنها وتدفعها دفعًا إلى إبداع قصيدتها ونظمها والتغني بها تحقيقًا لرغبات وأغراض غير محققة في عالمها الواقعي مما كانت سببًا للهموم لديها.

وبذلك اتسعت مرجعية(ليلى وأخواتها)، فلم تعد مقصورة على الدلالة على النساء فقط، بل شملت كل ما يمكن أن يتمناه المرء، سواء كان مؤنثًا أو مذكرًا، إنسانًا أو شيئًا، فاتسع فضاء دلالتها، فغدت بلفظها المفرد سياقًا كاملًا. فـ(ليلى وأخواتها) بمثابة ريشة الفنان التي يستخدمها كل منا لتزيين الواقع من خلال استدعاء هذه الأنثى في الكلام عامة، والشعر خاصة، وهو تزيين حتمي للقدرة على مواصلة الحياة، فحضور الأنثى يجمل العالمين الواقعي والمتخيل الإبداعي بما ترمز له من جمال وعاطفة وحنان يستوعب صعاب الحياة ويتغلب عليها.

---

(١) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص٢٤٣.

(٢) السابق نفسه، ص٢٤٤.

١٩-أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) ما بين الإلهام والإبداع

كما اتضح مما سبق تعدد أسماء الإناث في الإبداع العربي فقد تكون (ليلى) أو إحدى (أخواتها)، ولكنها تظل تشير إلى الأنثى الفاعلة التي تحمل من الدلالات في الثقافة العربية ما يتجاوز حدود المدلول من أنثى من لحم ودم إلى فضاء المتخيل، حملها الكثير من الدلالات التي تغطى ضيق المدلول الفردي الشخصي إلى دلالة أكثر اتساعًا وأعمق فضاءً، تتجاوز المعاني القريبة والبنية الشكلية المادية التشخصية إلى معان أعمق، فلم تعد (ليلى) المرأة بالمعنى المعجمي المقصود، ولكنها الملهمة، والمحركة للإبداع، الدافعة إلى أعلى الممارسات اللغوية وأكثرها نضجاً، ألا وهي الممارسة اللغوية الإبداعية، فهي (الدافع والملهم) (الوسيلة والغاية).

٢٠-أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) وعالمية الدلالة

ويواصل البحث السير مع متسلسلة الدلالات المترابطة لهذه الأعلام المؤنثة(ليلى وأخواتها) حتى يوشك أن ينتهي عن طريق ربط حلقاتها بأهم محرك دلالي لها وهو(الاتساع). فكما ذكر البحث أنه حدث لهذه الأسماء المؤنثة(ليلى وأخواتها) ما صيرها أعلامًا نتيجة تعميم ما تشير إليه من الدلالات، وذلك بإسقاط لبعض الملامح التمييزية لها، وإنقاص ما يخصها كفرد، وزيادة ما هو قاسم مشترك بينها وبين كل النساء، فغدت دالة على كل امرأة بإسقاط الملامح التمييزية للاسم مثل ليلى بنت، الأنوثة، البلوغ ، محبوبة قيس، المبتغى...إلخ واكتفت الدلالة بملمح المبتغى. فكما هو معروف أنه كلما قلت الملامح التمييزية للفظ كلما زاد عدد أفراده فالعلاقة بينهما هي علاقة عكسية غير طردية. وكذلك غدت (ليلى وأخواتها) دالة على المبتغى/ المراد بإسقاط الملامح التمييزية لها كشخصية نسائية محددة إلى أمنية يراد الوصول إليها وتشغل فكر صاحبها أيًا كان، رجلًا أو امرأةً. وهنا تم مراعاة ما شغل بال الشاعر الأول في حديثه عن تلك الأسماء بالتحديد وتحول الاسم إلى إشارة مرجعية رامزة محملة بدلالات يقصدها المتكلم، ويفهمها المتلقي؛ مما يساعد على سرعة إنجاز مهمة اللغة وإحداث التواصل المطلوب الذي وضعت من أجله.

وليس من البعد بمكان القول: إن هذه الأعلام غدت مثل المسافر / الرَّحالة الذي غادر دياره إلى الكثير من الأماكن عبر الكثير من الأزمنة في رحلة طويلة قطعت الفيافي والجبال والسهول والوديان مرة هنا وتارة هناك، وفي كل مكان، وعبر كل زمان يتساقط منها ما هو خاص وتبقى سمة العمومية في الدلالة على المعنى حتى لو أريد إعادتها إلى ما كانت عليه من تحديد بامرأة واحدة هي ليلى العامرية لبات هذا أشبه بنقل الأصل إلى غيره، ولصار فيها وقتها ما يمكن تسميته بتضييق الدلالة وتحويلها من الكلي إلى الجزئي أو ما يعرف بتحديد معاني الكلمات وتقليلها. وفي هذا ما يشير إلى خروجها عن الأصل بشكل صارت عودتها له ثانية ضربًا من التغيير الذي يضيف عليها بعض الملامح التي أصبحت وكأنها ليست منها.

٢١-(ليلى وأخواتها) ودلالة المشترك اللفظي والاشتمال اللغوي

مما سبق يتضح أن كلًّا من (ليلى) أو إحدى (أخواتها) تعتبر من المشترك اللفظي الذي يعني" اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا: عين الماء، وعين المال، وعين الركية، وعين الميزان"[١] فهو كما ذكر (السيوطي) "حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[٢] ففي إطار ما أوضح البحث تتعدد الدلالات لها أي تشترك في لفظ العلم المؤنث الواحد منها دلالات متعددة، ويدخل هنا كما بيَّن البحث فَهْم المتلقي؛ لذلك فهي حتى لو لم تذكر بهذه الدلالات في المعجم اللغوي فهي مشترك لفظي في فضاء الاستعمال الإبداعي العربي وفي فضاء التأويل التداولي لها.

---

(١) ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني): الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، بيروت، ١٩٦٣م، ص٢٠١.

(٢) جلال الدين السيوطي(عبد الرحمن جلال الدين السيوطي): المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولي وآخرين، الحلبي- القاهرة، د.ن، ج١، ص٣٦٩.

ثانيًا: دلالات العلم المؤنث (ليلى) في الإبداع العربي

إنها(ليلى) ساكنة فؤاد الشعراء، شاغلة الأذهان، قريبة من النفوس بعيدة عن المنال؛ مما يجعلها بين (الممكن والمستحيل)، كل حسب مراده وغايته وسعيه لتحصيل مراده.

وتعددت مستويات الدلالة القائمة على التأويل والتفكير الناقد لهذا المنجز اللغوي(ليلى) القائم على مجازية الدلالة؛ لذا تتعدد الدلالات لهذا العلم، ويجمعها رابط عام، وسيعرض البحث ذلك وفق الترتيب الدلالي من العام إلى الخاص، ومن الأقرب دلاليًّا إلى الأبعد وفق ما يلي:

١- العلم المؤنث(ليلى) والدلالة المعجمية

في لسان العرب" ليل: اللَّيْلُ: عَقِيبُ النَّهَارِ وَمَبْدَؤُهُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ. التَّهْذِيبُ: اللَّيْلُ ضِدَّ النَّهَارِ وَاللَّيْلُ ظَلَامُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارُ الضِّيَاءُ....وَتَصْغِيرُ لَيْلَةٍ لُيَيْلِيَةٌ.... سِيرَ عَلَيْهِ لَيْلٌ، وَهُمْ يُرِيدُونَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَإِنَّمَا حَذَفَ الصِّفَةَ لِمَا دَلَّ مِنَ الْحَالِ عَلَى مَوْضِعِهَا.....وَلَيْلَةٌ لَيْلَاءُ وَلَيْلَى: طَوِيلَةٌ شَدِيدَةٌ صَعْبَةٌ، وَقِيلَ: هِيَ أَشَدُّ لَيَالِي الشَّهْرِ ظُلْمَةً، وَبِهِ سُمِّيَتِ الْمَرْأَةُ لَيْلَى، وَقِيلَ: اللَّيْلَاءُ لَيْلَةُ ثَلَاثِينَ....تَقُولُ الْعَرَبُ هَذِهِ لَيْلَةٌ لَيْلَاءُ إِذَا اشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهَا.... أُمُّ لَيْلَى: الْخَمْرُ السَّوْدَاءُ؛ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ. التَّهْذِيبُ: وَأُمُّ لَيْلَى الْخَمْرُ، وَلَمْ يُقَيِّدْهَا بِلَوْنٍ، قَالَ: وَلَيْلَى هِيَ النَّشْوَةُ. وَهُوَ ابْتِدَاءُ السُّكْرِ. وَحَرَّةُ لَيْلَى: مَعْرُوفَةٌ فِي الْبَادِيَةِ وَهِيَ إِحْدَى الْحِرَارِ. وَلَيْلَى: مِنْ أَسْمَاءِ النِّسَاءِ؛ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هُوَ اسْمُ امْرَأَةٍ، وَالْجَمْعُ لَيَالِي....يُقَالُ: لَيْلَى مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرَةِ، وَبِهَا سُمِّيَتِ الْمَرْأَةُ....وَيُقَالُ لِلْمُضَعَّفِ وَالْمُحَمَّقِ: أَبُو لَيْلَى... وَيُقَالُ: أَبُو لَيْلَى أَيْضًا كُنْيَةُ الذَّكَرِ "[(١)] ويذكر المعجم(الوسيط): " لَيْلَى الخَمْرِ: نشوتُها وبدءُ سُكْرِها. وأمُّ لَيْلَى: الخمر. وليلةٌ لَيْلَى : طويلة شديدة صعبة، أو هي أَشدُّ ليالي الشهر ظُلمةً"[(٢)].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ليل).

(٢) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤، (مادة: ليل)

(٢) موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب: سجل أسماء العرب، إشراف محمد بن الزبير، الهيئة العلمية، جامعة السلطان قابوس، مكتبة لبنان، المجلد الرابع، ص٢٣١٨.

وهكذا تدور الدلالة المعجمية للعلم المؤنث(ليلى) حول اللَّيْل والخمر وما يتعلق بهما، فليْلى : اسم علم مؤنث عربي، من الجذر اللغوي (ل ي ل) والوزن الصرفي لها(فَعلى)، ومن المعنى اللغوي لها أم ليلى: الخمر، وليلى: نشوتها وبدء سكرها، وبه سميت المرأة، وكذلك ذكرت موسوعة سجل أسماء العرب أن(ليلى)" من (ل ي ل) النشوة وأول السكر "[١]، ولعل هذا هو سبب إطلاق العرب على الضعيف(أبو ليلى) كما ذكر (لسان العرب)، فكأن من شرب الخمر(أم ليلى) صار ضعيفًا أحمق سكران، فلا يدري ماذا يفعل، ولا يحسن أمره، والبعض عممها، (أبو ليلى) كنية للذكر كما اتضح من(لسان العرب)، لعل ذلك أيضًا لكثرة شربهم لها في الجاهلية، فصارت كنية لرجالهم. ولعل حبهم للخمر وكثرة شربهم لها في ذلك العصر هو سبب إطلاق اسمها على المرأة (ليلى)، فجمعوا بذلك بين حبين (الخمر والمرأة) في ذات واحدة، فكانت المرأة المسماة (ليلى) محبوبة اسمًا وموضوعًا.

فهل تصدق دلالات (ليلى) المعجمية (الليلة الطويلة الصعبة شديدة الظلمة حالكة السواد، والخمر، والنشوة وبدء السُّكْر) مع دلالاتها الموظفة داخل الإبداع اللغوي العربي، أو هل هناك علاقة بينهما؟ وهل استعملت في الإبداع العربي بمعانيها المعجمية أم دائمًا توظف عبر فضاء الدلالة والاتساع اللغوي؟

ويوجد تقارب بين الدلالة المعجمية والدلالة الاصطلاحية (التوظيفية هنا) ظهر في توظيف الذات العربية لاسم العلم المؤنث(ليلى) خلال إبداعها العربي من ذلك قول الشاعر:

أفي غيبتي عنكم ليالٍ مرضتها ∴ تزيدينني ليلى على مرضي جهدا!؟[٢]

---

(١) عمر بن أبي ربيعة: الديوان، دار صادر–بيروت، ط٣، ٢٠١٠ ، ص٢

(٢) انظر: التلمساني(أحمد بن محمد المقري): أزهار الرياض في أخبار عياض: الرباط، ١٩٧٨، ج١، ص٤٧.

فقد أشار الشاعر هنا في توظيفه الدلالي إلى معنى من المعاني المعجمية للعلم المؤنث(ليلى)، وهو الليلة الشديدة المظلمة، فلم تكن(ليلى) هنا ملاذ الشاعر ومنقذه، بل كانت على النقيض، فقد زادته همًّا وحزنًا فوق مرضه، ويستدعى هذا المعنى ما ذكره البحث أثناء عرضه لـ(ليلى وأخواتها) واشتراك الدلالة في قول الشاعر هناك: (ولا أسعفت ليلى)؛ مما يعطي منذ البداية مؤشرًا دلاليًّا يشير إلى صعوبة (ليلى)، وعدم انقيادها لما أراده منها الشعراء والمبدعون، فماذا أرادوا؟ ولماذا خزلتهم؟ أرادوا تحقيق ما يريدون من أمنيات وأحلام، وخزلتهم؛ لأنها هنا هي الدنيا على حد قول أبي البقاء الرندي: من سره زمن ساءته أزمان[1]ويتضح ذلك مما سيعرضه البحث.

٢- ليلى ودلالة الجمال

هى عروس أسماء الإناث في الإبداع العربي. حقيقة ذكر اسمها يفيض جمالًا فيما ذكرت به وفق ما ارتبطت به في السياق الإبداعي؛ لذا أضفت على الاسم(ليلى) جمالًا لجمال معنى مسماها وصفاته؛ لذا حق للمجنون القول – محبة فيها – :

أحب من الأسماء ما وافق اسمها ∴ أوَ اشْبَهه أو كان منه مدانيا[2]

فحبه للاسم ليس لذاته، ولكن لمحبته المسمى به. فمتى ذكرت(ليلى) في التوظيف الدلالي للذات المبدعة فإن لها قيمة روحية وإمتاعًا نفسيًّا ارتبط بما يحس عند سماعها وفق المختزن من قراءة الشعر منذ العصر الجاهلي؛ لذا غالبًا ما وظفت لتجميل الواقع، فأينما حل اسمها أضفى على الكلام جمالًا، وإن كان جميلًا زاده جمالًا.

٣- العلم المؤنث(ليلى) ودلالة الشيوع بين القديم والحديث

ينتقل البحث إلى حلقة جديدة في متسلسلة التوظيف الدلالي المترابطة للعلم المؤنث(ليلى)، فيصل إلى دلالة الشيوع بين القديم والحديث، فالعلم المؤنث (ليلى) كثير

---

(١) الديوان: تقديم وشرح مجيد طراد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٨.

الورود في الإبداع العربي، ونال قدرًا كبيرًا من التعبير الشعري الرامز، ليس فقط في القديم، ولكن حتى اليوم؛ ومن أمثلة ذلك قول عمرو بن كلثوم في العصر الجاهلي:

أفـــي ليلـــى يعـــاتبني أبوهـــــــا ∴ وإخوتُهـــا وهـــم لـــي ظالمونـــــــا[١].

وفي العصر الأموي يقول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

أُجلُّكِ يا ليلى عن العين إنمـــــــا ∴ أراك بقلـــب خاشـــعٍ لـــك خاضـــــعِ[٢]

وفي الحديث تتعدد النماذج الشعرية التي يرد فيها ذكر ليلى، منها على سبيل المثال إشارة الشاعر المصري أحمد محرم:

يـا قيسُ ويحك ليلى عنك فـي شُغُلٍ ∴ وأنت يا قيسُ صبٌّ القلب ولهـــانُ[٣]

وحقيقة ما سبق قليل من كثير، وغيض من فيض، فلو تم تتبع نماذج الإبداع العربي القديمة والحديثة التي ورد بها العلم المؤنث(ليلى) لاحتاج الأمر إلى مجلدات، ولكنها بضعة أمثلة يسوقها البحث لبيان ذلك. فلم يقتصر التوظيف الدلالي للعلم المؤنث(ليلى) في الإبداع العربي أنها محبوبة شاعر بعينه تم التعبير عنها في قصائده، ولم تكن ملكًا له خاصة من دون البشر، بل تناولتها أقلام الشعراء، وصفحات النقاد، وخيال المتلقين في القديم والحديث، كل منهم يشير بها إلى مبتغاه، وهم وإن اختلفوا في الزمان والمكان يظل يجمعهم هذا الدال اللفظي الاسمي(ليلى) الممثل لدلالات شتى.

٤-العلم المؤنث(ليلى) بين دلالة التقييد والتحرير

وظف العلم المؤنث(ليلى) في النصوص اللغوية الوارد بها في الإبداع العربي توظيفًا يجمع بين دلالة التقييد ودلالة التحرير، فاستمد من ذلك قيمته الدلالية داخل

---

(١) الموسوعة الشعرية، الشعراء والدواوين، شعراء زمن ما قبل الإسلام، عمرو بن كلثوم.

(٢) السابق، شعراء العصر الأموي، يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان.

(٣) السابق، شعراء العصر الحديث، أحمد محرم.

النصوص بدءًا من التقييد المراد بالعلم وفق ما ورد في القديم عند دخوله لمجال الإبداع الشعري العربي عن طريق تعيينه ذاتًا واحدة اتجاهًا إلى التحرير شيئًا فشيئًا من مشهد معين وتجربة خاصة إلى تفسير عام يشف به العلم نفسه، ويلمح دون أن يصرح تلميحًا يبرر سبب صيرورته وتداوله من جديد عبر فضاء التجربة الإبداعية مما يدعم استخدامه، ويثبت وجوده الجديد.

٥- العلم المؤنث(ليلى) ودلالة التبرير

خالف العلم المؤنث(ليلى) الفرضية اللغوية القائمة على عدم وجود علاقة منطقية بين الاسم ومسماه، وإنما هي من قبيل الاعتباط حيث دل هذا العلم(ليلى) على التبرير أي قصدية الإشارة إلى دلالة عامة مقصودة من قبل الذات المبدعة. وبذلك تجاوز الحروف المكونة له والأصوات الناطقة به والوظيفة العلامية فيه إلى فضاء الرمز والإشارة، فجمع مسميات كثيرة وصفات عديدة وعوالم شتى تصدق عليها صفات الدلالة الأولى له، مع حدوث تغييرات تناسبها، وسيتضح ذلك في صفحات البحث التالية.

٦- العلم المؤنث (ليلى) بين الحقيقة والخيال (اتساع الدلالة ورمزيتها في ليلى)

نتيجة للرصيد الشعري المتراكم الذي وظف فيه العلم المؤنث(ليلى)، واستحوذ على مساحة فيه سمى الكثيرون ما يريدونه بـ(ليلى)، فهي كثيرة الدوران على ألسنة العامة والخاصة قديمًا وحديثًا وحتى الآن. فـ(ليلى) الاسم الذي عشقه الشعراء وخلده المبدعون، وتعددت الليالي، وكثرت الأشعار التي تذكر(ليلى)، ومن المؤكد أن هؤلاء جميعًا لم يكونوا هائمين بـ(ليلى) العامرية نفسها، وأيضًا ليس من الطبيعي أن كل محبوبات الشعراء أو جلهم اسمهن(ليلى)، إنما يستخدم كل منهم اسم (ليلى) كناية عن شيء آخر موجود في مخيلته، هي له (ليلى). فعندما سُئل شاعر كان كثير التغزل بـ(ليلى) في شعره ذَكَر ما يلي " أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: خرجت أنا وأبو السائب المخزومي وعبيد الله بن مسلم... وابن المولى وأصبغ بن عبد العزيز ابن مروان إلى قباء ... فأنشد ابن المولى لنفسه:

وأبكـى فـلا ليلـى بكـت مـن صـبابة ∴ إلـيَّ ولا ليلـى لـذى الـوُد تبـــــذلُ

وأخنــعُ بــالعتبى إذا كنــتُ مذنبـــاً ∴ وإن أذنبــتْ كنــتُ الــذي أتنصـــلُ

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جندب: من ليلى هذه حتى نقودها إليك؟ فقال لهما ابن المولى: ما هي – والله – إلا قوسى هذه سميتها ليلى"[١] ولما سئل في موقف آخر من قبل رجل يدعى الحسن بن زيد عن (ليلى) التي دائمًا ما يذكرها في شعره قال: "امرأتي طالق إن كانت إلا قوسى هذه، سميتها ليلى؛ لأذكرها في شعري، فإن الشعر لا يحسن إلا بالتشبيب، فضحك الحسن، ثم قال: إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت"[٢]. فكانت (ليلى) ابن المولى هي مجرد قوس تعينه على قضاء بعض أموره مثلما كانت عند غيره ممن يوظف التاريخ في سبيل الوصول إلى ما يريد. ومثله في ذلك مثل غيره من المبدعين، فمثلًا عندما سُئل (الأعشى) عن (هريرة) التي يذكرها في شعره قال: "لا أعرفها، ولكن اسم ألقى على لساني من حيث لا أدري"[٢]. فهكذا كانت الأنثى الممثلة غالبًا باسم(ليلى) وسيلة لتحقيق غاية الذات المبدعة؛ حيث وظفتها داخل إبداعها لتكون رمزًا يحتضن كل جميل.

٧-العلم المؤنث(ليلى) بين دلالة الليل وفضاء الزمن (ليلى بين الليل والنهار)

هناك ارتباط وثيق بين اسم (ليلى) و(الليل)، فهو مأخوذ من ليلة ليلاء وليلى، وهي – كما اتضح من المعجم – الليلة الطويلة الشديدة الظلمة، ومن حقل الصعاب

---

(١) الأصفهاني(علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهاني): الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر – بيروت، ط٢، أخبار ابن المولى ونسبه.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، أخبار ابن المولى ونسبه.

(٢) التبريزي(يحيي بن علي الشيباني): شرح القصائد العشر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده– مصر، ط٢،١٩٦٤م، ص٤٨٣.

هذا (الطول والظلام) وُظِف العلم المؤنث (ليلى) تمثيلًا له وتعبيرًا عن حالها، وهنا تتابع الدلالات في تسلسل مترابط، فكما ذكر البحث أنها استعصت وصعبت على المبدعين، ولم تحقق ما أراده منها الشعراء، ويظهر الآن تبرير ذلك من جنس مادتها المعجمية(الطول والظلام)، الصعوبة التي صبغتها بلونها، فأضحت لصعوبة المنال وبُعْد التحقق ليلًا طويلًا، به الكثير من الخفايا والمتاهات المظلمة والمشاق الصعبة.

فالارتباط الوثيق بين العلم المؤنث(ليلى) والليل موجود منذ الميلاد اللغوي، فجذرهما اللغوي واحد (لَيَلَ) يحمل في طياته الدلالة الزمنية غير المقيدة على المستوى النفسي المتجاوز مستوى الإخبار على ذات معينة إلى الإيحاء بالتوظيف الإبداعي لصفات العلم وما يوحي به من ثقافة عامة توظف في الإبداع العربي. فلليل أهمية كبيرة عند العربي القديم؛ حيث يمثل له ساترًا من عيون الأعداء، ومن أراد به شرًّا، ويحميه أيضًا من حر جو الصحراء اللافح نهارًا؛ لذا ارتبط العرب بالليل، واحتل عندهم مكانة كبيرة، وظهر ذلك في جل كلامهم شعرًا ونثرًا، فمن ذلك في النثر أيضًا صياغة أهميته في شكل مثل، والأمثال كما هو معروف مرآة لتفكير الشعوب وعاداتها وأخلاقها، ونقل لضروب من الحياة الاجتماعية في صورة أدبية مختصرة وقصيرة لغويًا، ولكنها تحمل من الدلالات العقلية والسياسية والاجتماعية والدينية واللغوية الكثير والكثير، بالإضافة إلى قدرة الأمثال على سرعة الوصول للناس عامة في المجتمع؛ لقرب لغتها النثرية البسيطة من اللغة العامة المتداولة؛ لذا تصل لطوائف المجتمع كافة، عكس لغة الشعر التي قد يقتصر إدراك معانيها العميقة على طائفة دون غيرها؛ لذا كان لذكر الليل نصيب كبير في الأمثال العربية، منها" ادرعوا الليل فأنه أخفى للويل"[1] ، أي: أن الإنسان ليلًا له الحرية في فعل ما يريد، ومبرر هذا عند العربي صفة الستر في الليل التي يؤديها ظلامه، فكأنه ستارة سوداء تغلق المشهد

(١) البغدادي(عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٩٣.

عن عيون الغرباء، وتمنع النفاذ لما خلفه فلا يرى. حاجبة لمن فيه عما قد يمنعهم من القيام بما قد يكون مصدر راحة واطمئنان وهدوء نفسي لهم. يلقون فيه عن أنفسهم عناء النهار وويلاته وقسوة ما به. فكأن الليل جنة الهارب كما وصف لديهم، ومستراحه من عناء النهار. ومن خلال المثل رسم العربي لوحة الليل واصفًا إياه مظهرًا رأيه السديد وحكمته ومبرهنًا على قيمه ومعتقداته. وينتشر المثل في خطى سريعة تصله بكل من في المجتمع لما يمتاز به كما اتضح. وهنا قد يأتي سؤال: ما بال هذه الأهمية الكبيرة لليل عند العربي بحيث يكثر منه في إبداعه الأدبي شعرًا ونثرًا كثرة تبين قيمة كبيرة له؟ أليس الليل ليل الجميع، ويوجد كفضاء زمني عند مختلف الشعوب قديما وحديثا؟ إنه منحة إلهية من المولى – جل شأنه – ليستريح الجسد بعد عناء التعب؛ ليكتسب من الطاقة ما يعينه على مواصلة الحياة، فما الذي زاد من أهمية الليل عند العربي؟

تكون الإجابة عن هذه التساؤلات كما ذكر –البحث منذ قليل– بتذكر بيئة العربي قديمًا، فللبيئة تأثير قوي في صياغة الإبداع اللغوي بشتى أشكاله، وبيئة العربي المقفرة الجدباء، الصحراء القاسية القاحلة تكشفه نهارًا، وتفضح من فيها حيث لا وجود لساتر يحميه من حرها ومن الآخرين المتربصين كعادة الأقوام في ذلك الزمان. فمن الطبيعي أن يمثل له الليل قيمة كبيرة ومنزلة عظمية حتى تخيله إنسانًا صديقًا حاميًا حانيًا ومجيبًا يسعى لنصرته ويأخذ بيده.

وقد كثر هذا الاسم(ليلى) المشتق من الليل في الشعر العربي وخاصة القديم؛ لارتباطه بدلالة الليل، فلكل مسمى نصيب من اسمه؛ لذا حرص العربي على جعله من الأسامي، وتوسع في استخدام الاسم المأخوذ منه حتى عندما يسمعه يرى معناه في نفسه متمثلًا في صفات الليل الذي أحبه وركن إليه، وباتساع الليل اتسع التعبير به في مجال الشعر، ومثَّلَ مجالًا واسعًا أمام الذات المبدعة؛ لتعيش بعيدًا عن الآخرين فتحيا مع خواطرها، وتعيش حالتها التأملية، وتسترجع ذكرياتها، وتستلهم حوارًا بينه وبين نفسها. هو فترة تخلو فيها بعيدًا عن صخب النهار، فتعيد بناء ما مر بها،

وما شعرت به وترتيبه وصياغته في صورة قصيدة لغوية شعرية تبدع فيها عالمًا فنيًّا ذهنيًّا يفتح بابًا كبيرًا لعواطفها التي كبلها زخم النهار وطباع المجتمع.

ومن هنا تتضح العلاقة الدلالية بين العلم المؤنث(ليلى) وبين كلمة الليل، فإذا كان الليل ساترًا للجميع ذكورهم وإناثهم فهو أستر لمن يحتاج الستر، إنها المرأة/ الأنثى؛ لذا كثرت التسمية بـ(ليلى) على مر العصور وخاصة في القديم. ومن صون العربي للمرأة ومحافظته عليها حتى على المستوى اللغوي اختار لها اسم(ليلى) وأكثر استخدامه وتوظيفه دلالة عليها حصانة لها وسترا لأعز ما يملك وأغلى ما يحب. فكانت رغم شهرة هذا العلم المؤنث(ليلى) مستترة باسمها رغم انتشاره وشيوعه. فجمعت بهذا الاسم بين الوجود والغياب، الحضور والانسحاب، الظهور والتخفي، شفافة لا تصف، رقراقة لا تبين. فحقق لها هذا الاسم(ليلى) ثنائية مرتبطة رغم تناقض طرفيها، إنها ثنائية الظهور والستر، الليل والنهار.

وبذلك تصبح القصيدة بمثابة المرادف الإبداعي لـ (ليلى) الموجودة في واقع الشعراء كرمز للمرأة عامة للارتباط بينهما، فالليل يعني السكون، والمرأة هي سكن الرجل. فالقصيدة تعد رمزًا لمؤنث يصل لها المبدع بعد مروره بحالة من المعاناة دل عليها الليل. فتكون بذلك دلالة كلمة(ليلى) المرجعية هي الليل وما يحمله من سكون أتاح للشاعر إبداع قصيدته، ومن هذه الزاوية يمكن عد القصيدة مرادفًا للعلم المؤنث(ليلى) من جهة اشتراكهما في التأنيث، فكلاهما مؤنث تبحث عنه الذات المبدعة ويعوضها فقده الواقعي بميلاده الإبداعي في شكل القصيدة بعد طول معاناة عبر عنها في إبداعه بالليل، ووصفه بالطويل، وإن كانت الدلالات النفسية لكلمة الليل تكفي وحدها في هذا المقام لبيان الحالة فقد أكدت ذلك كلمة طويل في معاني (ليلى) المعجمية وجعلته راسخًا لمتلقيه. وهكذا تكون القصيدة بمثابة الخروج من ظلمة الليل النفسي للذات المبدعة إلى نهار التحقق الإبداعي.

٨-العلم المؤنث(ليلى) بين المعاناة والنشوة(الليل والنهار)

وهنا يتواصل التوظيف الدلالي لثنائية (الليل والنهار) في العلم المؤنث(ليلى) فتظهر مرة أخرى، ولكنها الآن مرادفة لثنائية(المعاناة والنشوة)، فهناك ارتباط دلالي بين العلم المؤنث(ليلى) والمعاناة النفسية التي أشار إليها الليل في التسلسل الدلالي المتوالي بدءًا من الدلالة المعجمية لهذا الاسم، فكلمة(ليلى) المأخوذة من الليل تحمل معها صفات ما أخذت منه، ومنها المعاناة، فالعلم المؤنث(ليلى) يشير إلى دلالة ترتبط لغويًا بـ (الليل) مما يرتبط دلاليًا بـ(المعاناة) التي يتولد عنها إبداع الذات العربية الحاملة ليلاها والناتجة عنها. فكان اختيار المبدعين للعلم المؤنث(ليلى) اختيارًا مناسبًا دلاليًا من ناحية الظلمة التي ترمز للغموض والمعاناة. معاناة الذات المبدعة التي تتمخض عنها عملية الإبداع. فتظهر موهبة المبدع بعد أن صاغها بتشكيل لغوي فني يحمل أفكاره وعواطفه التأملية التي مر بها حتى خرجت القصيدة (ليلى) الشاعر إلى نطاق الواقع، فكانت ليلى والليل رمزًا لهذه المرحلة. ومن الدلالات المعجمية لـ(ليلى) الخمر والنشوة. فمن ناحية الخمر توجد صلة بين دلالة العلم المؤنث(ليلى) على الخمر ودلالته على النشوة المرتبطة بابتداء السُّكر وبين الذات المبدعة خلال عملية الإبداع أيضًا التي تصل بالذات المبدعة إلى حد السكر فيتماهى المبدع مع ذاته عبر الانتقال من الواقع إلى المتخيل الإبداعي الشعري؛ مما يسبب له نشوة الحصول على ما يريد، ولو كان عن طريق صياغة لغوية كونت قصيدة شعرية أعادت تشكيل الواقع وفق ما يريد؛ مما يمنحها النور النفسي والهدوء العاطفي. وهو مما يستدعيه المعنى المعجمي لها فـ(ليلى) اسم من أسماء الخمر المرتبط بالنشوة المصاحبة لابتداء السُّكر، فكان أطلاق هذا الاسم على المرأة وصفًا لأثرها فيمن وما حولها، فكأنما سكرت الذات المبدعة بخيالها الفني مع(ليلى)، فأنجزت إبداعها اللغوي. فيظهر بهذا الوصول من الليل دلالة النهار الذي يدل عليه تحقيق الذات المبدعة لحلمها عبر المتخيل.

٩-العلم المؤنث(ليلى) ودلالة الأضداد

يقصد بالأضداد " الكلمات التي تؤدي دلالتين متضادين بلفظ واحد. ويقول ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، سموا الجون للأسود والجون للأبيض"[١] فالأضداد هي اللفظ المستعمل في معنيين متضادين، والعلم المؤنث(ليلى) يعد من الأضداد بالنظر إلى إطار التفسير اللغوي والتأويل الدلالي وفق ما قام به البحث من قراءات لهذا العلم يتضح منها جمعه بين الضدين في الدلالة (الحقيقة والخيال) و(المعاناة والنشوة) وكذلك(الليل والنهار).

١٠-العلم المؤنث(ليلى) ما بين دلالة الماضي والحاضر

في توالي متسلسلة التوظيف الدلالي للعلم المؤنث(ليلى) في الإبداع العربي يظهر أنه أبعد بكثير من مجرد لفظه بعدًا يرتحل في الزمن ذهابًا وإيابًا مما يشكل له طبيعة خاصة حاملة بشكل كبير ملامح البيئة العربية البدوية التي تؤثر في اختيار أسماء الأبناء وغيرها من العوامل التي تنعكس في اختيار الاسم الذي بدوره له حركية الانتقال من جيل إلى آخر في حركة زمنية متواصلة. فكثرت (ليلى) في تشكيل القصيدة العربية في مواطن البكاء على الأطلال والذكريات، وهو ما يستدعي ما مضى من الزمان وتمني عودته. والماضي جزء من التاريخ الخاص والعام. ففي خلوة الشاعر ليلا بنفسه ليسطر أبيات قصيدته ينتقل من زمان إلى آخر تالٍ له، فكان ما سبقه من أحداث نهارية ماضيًا فاصلًا له عن الواقع؛ ليعيش في زمانه الشعري الذي يبدأ من حيث انتهى الماضي الواقعي؛ لذا يقوم الشاعر باستدعائه في شعره، ثم ينطلق ماضيًا في طريقه مستكملًا ما يريده مما منعه عنه واقعه وحرمه منه مجتمعه فيعبر عن عواطفه وأفكاره التي يريدها بحرية تتفلت تدريجيًّا من أغلال الزمان الماضي بادئة منه منتهية لغيره. إنه زمن الواقع وزمن الإبداع الذي أنتج القصيدة لتحويل الواقع الماضي بالنسبة للمبدع إلى حاضر يشكله وفق رؤيته وتطلعاته تحملها

(١) توفيق محمد شاهين: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا ، مكتبة وهبة- القاهرة ، ١٩٨٠، ص١٧٧.

القصيدة التي تبقى على مر الأجيال. فالقراءة الواعية للماضي لها القدرة على إحداث تغيير للحاضر بشكل إيجابي، فمثلت (ليلى) الماضي الدافع إلى الحاضر، إنها الملهمة المحفزة للإبداع.

١١-العلم المؤنث(ليلى) ودلالة المثل

مما سبق يتضح أن التوظيف الدلالي للعلم المؤنث(ليلى) قد وصل إلى ما يمكن تسميته بعالمية الدلالة، وأدت هذه الدلالة العالمية للعلم المؤنث(ليلى) إلى ضرب المثل به، فقيل: (كل يغني على ليلاه)، وفي مقولة أخرى: (كل يبكي على ليلاه)، فلم يقتصر ذيوع الاسم على الشعر فقط. فكما كانت (ليلى) رحبة الدلالة في الشعر اتسع فضاء دلالتها ليشمل النثر وكلام العرب عامة، فصارت موضعًا للمثل، فجمعت (الدلالة الذاتية) بعلاقتها المرجعية للإشارة اللغوية العلاقة بين الكلمة من شخص (ليلى) خارج النظام اللغوي وكذلك (الدلالة الإيحائية) التي تمثل هنا المعنى الثاني المضاف إلى المعنى المرجعي الأول، وينطلق هذا المعنى المضاف صادرًا من الوعي الذهني لأفراد المجتمع العربي.

فقد وظف العقل الجمعي العربي الواقع في شكل (مَثَل) وضع فيه خلاصة تجربته المرتبطة بمواقف من التراث تؤكدها الظروف. فناسب المثل ما يريد. وشكَّله العقل العربي في شكل أنثى جميلة تظهر في الرمز(ليلى) الممثل لرؤية فردية خاصة شكَّلها بما يناسبها، فجعل من كل مستخدم لهذا الرمز(ليلى) ذاتًا مبدعة تصوغه بما يحقق لها رؤيتها التي من شأنها أن تحقق للإنسان الحياة الآمنة؛ لذا يجب ذكرها. وتكراره إخراجًا للواقع من طابعه الذكوري وتشكيله جماليًا في العلم المؤنث(ليلى) التي تسكن مساحة كبيرة في إبداع الذات العربية. فليس المقصود اشتراك العاشقين في اسم المعشوقات، فأحبوا جميعًا (ليلى)، لا، فهذا غير مقصود، بل هم في ذلك كل (يغني على ليلاه)، فأصبح اسم(ليلى) رمزًا للمعشوقة مطلقًا، وأصبح معنى العشق فيها رمزًا للمراد المبتغى. لذا يضرب هذا المثل حين يشتكي كل شخص ما يهمه، ويشكل له قضية ذات بال كبير، فخرجت فيه (ليلى) أيضًا من حدود المرجعية الشخصية

الأنثوية إلى فضاء دلالة كل ما تهتم به الذات الإنسانية العربية، فهي كناية عن شيء آخر موجود في مخيلة العربي، أي: على ما يهجس فيه ويؤرقه.

وبذلك أعاد المثل العربي قراءة العلم المؤنث(ليلى) وفق رؤيته، فهذه الأنثى(ليلى) كانت وسيلة المبدعين للتغلب على قسوة الواقع وصولًا إلى المتنفس، ومن ذكوري(الواقع) إلى (ذكوري) المتنفس كانت الأنثى(ليلى/ القصيدة/ اللغة) هي الوسيلة المستعان بها للوصل بين الاثنين لعبور الأزمة وإضاءة الطريق وتخفيف الرحلة. فـ(ليلى) كل شخص تختلف عن الآخر، ولكن يظل يجمعها هذا الرابط الدلالي المرجعي العام (المبتغى/ الأمنية) المُعانى في سبيل تحقيقها. فأضحت(ليلى) طاقة ثقافية عربية ترمز إلى طموحات الذات وأمنياتها، ومصدرًا للجد في سبيل تحقيقها، فمثلت المرجعية الدلالية في الإبداع العربي، وكانت الدافع له. فتجاوز المبدع العربي في إبداعه باستعمال(ليلى) الكيان الجسدي إلى ما هو أعمق متغلغلًا إلى جذور ثقافة المجتمع، فكانت المرجعية المطلقة العابرة حدود الزمان والمكان، الدافعة إلى النهوض الباحثة عن البغية.

١٢-العلم المؤنث(ليلى) ودلالة التوارث

مما سبق يتضح دلالة التوارث في التوظيف الدلالي للعلم المؤنث(ليلى) أي توارث استعمال الإبداع العربي لهذا العلم(ليلى) منذ القديم. وحقيقة ليست هذه خاصية مرتبطة به وحده، ولكنها سمة عامة في الأسماء، ولكن المقصود هنا هو التوارث الإبداعي في استخدامه وتعاقب التوظيف الدلالي له.

خلاصة: رؤية مختصرة لتدرج التوظيف الدلالي لأعلام الإناث في الإبداع العربي (ليلى وأخواتها) (متوالية الدلالات ومستويات الدلالة)

العربي في العصر الجاهلي أخذ مادة الأعلام التي سمى بها نفسه من الحياة التي يعيشها، ومن المكان الذي يأويه، ومن الزمان المار به، ومن المحيط الحاوي له عامة، فتنوعت الدلالات المرتبطة باسم (ليلى) خاصة، ويليها (أخواتها)، وهي متواليات دلالية تبدأ من الدلالة الصرفية على التأنيث، والتأنيث يرتبط باللين والرقة

والجمال، ومن هذه الدلالة توجد دلالة أخرى لاسم القائد(ليلى) في هذه المجموعة (ليلى وأخواتها)، وهي الخمر، ثم النشوة التي تحدثها الخمر فيمن شربها. وهناك دلالة أساسية مرتبطة بها، إنها دلالة(الليل) المرادف لـ(الظلام)؛ لذا كما تبين من مادة(ليل) في المعاجم العربية تسمية الليلة حالكة الظلام بـ(ليلى) و(ليلى ليلاء). ثم حدث انتقال للدلالة في (ليلى)، فأصبحت تدل على المحبوبة المثالية/ المبتغى والمراد، وساعد على هذا النقل الدلالي حدث اجتماعي في المجتمع العربي القديم، وهو حب الشاعر قيس بن الملوح لـ(ليلى) بنت عامر، وإنشاده الشعر فيها، وقد وصل هذا الحب إلى درجة العشق المتماهي مع الذات، المصور لها وكأنها ملاك يمشي على الأرض، وأصبحت حياته وقفًا عليها، لا يبغى سواها من الدنيا. إنه من أحب، فصدق، فبكت من أجله الدني، يبكي على (ليلى) بكاء من أحب فعشق فتمنى، فلم يجد، من صبر وسهر وضحى، فلم يجد. ومن هنا نال هذا الاسم شهرته من دون أسماء الإناث، وإن قاربته بعض الأسماء الأخرى (أخوات ليلى) مثل(عزة وبثينة)، لكنه يظل يحتل الصدارة، فأصبح عابرًا للزمن، وساعد على ذيوعه أيضًا استحالة إتمام هذا العشق بالزواج لوجود عادات المجتمع العربي القديم وتقاليده التي لا ترضى بزواج بناتها ممن كتب فيهن شعرًا؛ لذا عانى الطرفان المحب والمحبوب، وأنهيت هذه المعاناة من جانب المحبوبة بالزواج بآخر درءً للظنون، بينما تمخضت هذه المعاناة عند المحب في شعره ليلًا ظلامًا ظالمًا قاسيًا، هام معه في الصحراء، ونتج عنها ميلاد جديد أراد به أن يكمل مسيرة حبه هو، هذا الإبداع الشعري الذي أذاع (ليلى) وخلدها بغض النظر عن كونها حقيقة أو محض خيال من إبداع الشعراء، فليس هذا هو المهم، بل هناك الأهم منه وهو الواقع الماثل المعاش في الحياة العربية الذي أصبحت فيه(ليلى) معينًا خصبًا للإبداع على مر الأزمان واختلاف الأماكن، فأصبحت وحيًا وإلهامًا للكثيرين فعرفها الجميع، وعشقها الجميع عشقًا تختلف غاياته، وتتعدد أسبابه، لكن تظل تجمعها دلالة عامة يمتلكها المتكلم، ويفهمها جيدًا المتلقي في السياق الثقافي العربي.

وتوجد أيضا دلالة تضمينة في قصة(ليلى) يشير إليها اختيارها بنفسها زواجها من آخر غير قيس رغم حبها له حماية لنفسها من شبه الظنون والقيل والقال؛ مما يحمل معه دلالة واضحة على رجاحة عقل هذه الفتاة وقدرتها على الثبات في مواجهة الصعاب والانتصار على المعاناة النفسية والقدرة على مواصلة الحياة والعبور والانتقال من حالة لأخرى، وتتماهي هذه الدلالة التضمينة مع الدلالة العامة لـ(ليلى) فقد عبرت (ليلى) قديما أزمتها، وانتصرت على معاناتها مثلما عَبَرت دلالتها الزمن فخلدت دالة على المُنتهى.

وتتعدد الدلالات وتتوالى وما يزال يجذب الباحثة العلم المؤنث (ليلى) لحيوية الاسم ملقية بظلها على (أخواتها) فتريد إنهاء الدراسة فيها وتأبى (ليلى) إلا أن تزيد مما يذكر بشعر شاعرها فيها الذي يتراءى للباحثة من بعيد وهو يقول

ألستَ وعدتني يا قلبُ أنـــــي ∴ إذا مـا تُبـتُ عـن ليلـى تتـوبُ؟

فهـا أنـا تائـبٌ عـن حـبِّ ليلـــى ∴ فمـا لـكَ كلَّمـا ذُكـرت تـــذوبُ؟

ومـا لـكَ قـد حننتَ لوصلِ ليلـــى ∴ وكنـتَ حلفـتَ أنـك لا تـــــؤوبُ؟[1]

وهكذا وجدت الباحثة أنه لعمق الإبداع العربي – خاصة الشعري منه في العصر الجاهلي – لا تنتهي معانيه ولا تنفد، فالمعنى الظاهر لاسم العلم معروف، لكن إدراك المقصد المتخفي في عباءة الدلالة الواسعة الفضفاضة يحتاج إعمال فكر وروية. فكان هذا البحث قراءة من قراءات أعلام الإناث في الإبداع العربي(ليلى وأخواتها) لفهم دلالاتها التي ربما تجاوزت ما أراده المبدع العربي. فالنص ملك لطرفين المبدع والمتلقي، الأول له حق الصياغة وفق ما يراه، والثاني له حق التأويل وفق ما يريد، ووفق ليلاه والسير في ضروب الدلالات وتفريعات المعاني والانتقال بين جنباتها، فيغدو التأويل كأنه إبداع لنص جديد وتشكيل متنوع وفق تنوع سياقات التلقي وظروفه،

(١) قيس بن الملوح: الديوان، ص٦٨٠.

وكلما قوي النص احتمل لقوته وجوهًا من الدلالات تشير إلى معان شتى تظهر بالتأويلات مع إشارة مرجعية لغوية أو ذهنية لذلك. والتأويل في اتساعه يرتبط بضابط ينظم صحته ويُبَين دوره التوظيفي الدلالي وهو الترابط بينه وبين ظاهر نصه اللغوي، فلا يخالف ما يعرف عن النص من ثوابت أدت إلى صياغته وإبداعه، وكذلك ظروف اجتماعية وثقافية ولد فيها وتمخض عنها.

الخاتمـــة

يخرج البحث من عرض ما سبق بمجموعة من النتائج هي:

١- عمق الوعي الجمعي العربي في استخدامه لأعلام الإناث (ليلى وأخواتها) وتوظيفه إياها في إبداعه توظيفًا يخرج إلى دلالات شتى يجمعها رابط مشترك.

٢- اشتراك الدلالة في أعلام الإناث(ليلى وأخواتها) مع إضافات دلالية خاصة بالعلم المؤنث (ليلى) تثبت تقدمه على سائر أعلام الإناث في الإبداع العربي.

٣- شيوع استخدام اسم العلم المؤنث (ليلى) عن باقي (أخواتها) في شعر العرب ونثرهم.

٤- الدلالة الانتقالية عبر الزمن لأعلام الإناث(ليلى وأخواتها).

٥- تحول أعلام الإناث (ليلى وأخواتها) إلى ما يشبه الوصف في اللغة.

٦- استدعاء العربي للبيئة المحيطة به وحضورها القوي بشتى مظاهرها في إطلاقه التسميات على من حوله.

٧- حرص العربي على حماية المرأة وصونها حتى على مستوى التسمية، فانتقى لها من الأسماء ما لا يثير ولا يشير إلى ما يجب ستره تحقيقًا لتواصله الذاتي والفكري وتخفيفًا لجفاء الواقع وقسوته.

٨- ارتباط ظاهر التوظيف الدلالي لأعلام الإناث (ليلى وأخواتها) في الإبداع العربي بدلالة الهوى والعشق واختلاف مضمونها عما ظهر عليها مما جعلها مصدرًا للإلهام وسببًا في الإبداع.

٩- أهمية الحضور الأنثوي للمرأة في إبداع الذات الذكورية وتصدرها إبداعها حلًا لأزمتها.

١٠- الدلالة الإيحائية لأعلام الإناث (ليلى وأخواتها) مما جعلها تشير إلى كل ما تقصده الذات العربية، كل وفق ما يريد ووفقًا لغايته.

١١- توظيف الذات العربية المبدعة لأعلام الإناث (ليلى وأخواتها) توظيفًا فنيًا إبداعيًا يخرجها من حيز الحقيقة إلى فضاء الدلالات وفق متسع التخيلات.

١٢- توسيع الدلالة وتعميمها في أعلام الإناث (ليلى وأخواتها).

١٣- عالمية الدلالة في الثقافة العربية لأعلام الإناث (ليلى وأخواتها).

١٤- قدم العلم المؤنث(ليلى) وتعدد دلالاته في المعجم العربي.

١٥- انعكاس الدلالات المعجمية للعلم المؤنث(ليلى) في الإبداع العربي خاصة الشعري منه وفق تأويلات القراءة وفضاء التلقي.

١٦- شيوع استخدام العلم المؤنث(ليلى) في القديم والحديث وتوظيفه في الإبداع العربي توظيفًا يخرجه من حيز التقييد إلى حرية التعبير وفق رمزية الدلالة وخيال التصوير.

١٧- تعددت الدلالات للعلم المؤنث(ليلى) وتنوعت، منها ما هو متوالي مترابط، ومنها ما هو عام وكلي، ومنها ما هو تضميني.

١٨- الارتباط الدلالي الوثيق بين العلم المؤنث (ليلى) و(الليل) واستعارته معانيه وتوظيفها في سياق الإبداع العربي.

١٩- الارتباط الوثيق بين العلم المؤنث (ليلى) والمعاناة مما يؤدي إلى الإبداع.

٢٠- تعدد التوظيف الدلالي للعلم المؤنث (ليلى) عبر الإبداع العربي، فتحولت دلالته من التشخيص الجسدي الحضوري إلى المبتغى الغيابي المتخيل.

٢١- وظف الإبداع العربي الرمز (ليلى) ليجمع في فضائه بين الدافع والغاية، فهي مصدر إلهام المبدع والطاقة التي يستعين بها كي يبدع، كما أنها أيضًا في ذات الوقت الغاية التي يحرص على الالتقاء بها في نهاية المطاف، والمبتغى الذي يريد نيله.

٢٢- علاقة التماهي الدلالية بين(ليلى) كدال والمراد المبتغى كمدلول.

٢٣- الاتصال الزمني خلال التوظيف الدلالي للعلم المؤنث(ليلى) في الإبداع العربي وتحوله لرمز داخل الإبداع العربي في مسيرته عبر الزمن.

٢٤- جعل الوعي العربي في توظيفه الدلالي العلم المؤنث (ليلى) رمزًا لغويًّا ثقافيًّا اجتماعيًّا، وجمع في سياقه الدلالي بين الأنثى والحياة واللغة والإبداع.

٢٥- صـيرورة العلـم المؤنـث(ليلى) مـثلًا ممـا أعطـاه دلالـة التـوارث التـوظيفي الـدلالي التداولي في الإبداع العربي بنوعيه الشعري والنثري.

التوصيات

١- الاستفادة من الدراسات السابقة التي اهتمت بالأعلام واستكمال البحث فيها وفقا للنظريات اللغوية الحديثة وخاصة الدلالية للحفاظ عليها وبيان ثراء اللغة العربية.

٢- الاهتمـام بحصـر دلالات الأعـلام العربيـة وتوسـيع الدراسـات فيهـا؛ لأن الأعـلام يستخدمها المجتمع العربي كله، فينبغي بيان معانيها والتدقيق في دلالتها.

٣- التوسع في دراسات الأعلام عامة (الإناث والذكور)، والتوسع في الدراسة اللغوية لها من كافة النواحي الصوتية والصرفية والدلالية والاجتماعية.

٤- البدء في عمل معجم إلكتروني شامل لأسماء الأعلام العربية كافة.

٥-زيـادة الاهتمـام بأسـماء الأعـلام ودلالتهـا فـي البرمجـة اللغويـة العربيـة، والمـدونات العربية.

المصادر والمراجـــع

أولا: المراجع العربية

١- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ط٣، ١٩٦٦.

٢- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٢.

٣- إبراهيم السامرائي: الأعلام العربية (دراسة لغوية اجتماعية)، المكتبة الأهلية- بغداد، ١٩٦٤.

٤- التلمساني (أحمد بن محمد المقري): أزهار الرياض في أخبار عياض: الرباط، ١٩٧٨.

٥- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.

٦- توفيق محمد شاهين: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقًا ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ١٩٨٠.

٧- جورج زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة: حسين مؤنس، مطابع دار الهلال، ١٩٥٨.

٨- القيرواني(أبو علي الحسن بن رشيق القيراوني): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت، ١٩٨١، ط.٥

٩- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني): الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، بيروت، ١٩٦٣م.

١٠- الديوانة: تقديم وشرح مجيد طراد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

١١- سامي الدهان: سلسلة فنون الأدب العربي: الغزل، القاهرة، ١٩٥٤.

١٢- سامية الساعاتي ، (دراسات اجتماعية ثقافية حول التحليل الاجتماعي للأسماء في مصر)، جريدة الأهرام الثقافية، ديسمبر ١٩٧٦.

١٣- استيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، ط١، د.ن.

١٤- جلال الدين السيوطي(عبد الرحمن جلال الدين السيوطي): المزهر في علوم اللغة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولي وآخرين، الحلبي- القاهرة، د.ن.

١٥- ابن أبي الأصبع المصري (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع): تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة، ١٩٩٥م.

١٦- البغدادي(عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٧- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني): المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، تحقيق: مروان العطية وشيخ الراشد، دار الهجرة-بيروت، .١٠٤٨

١٨- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت عن طبعة دار الكتب المصرية، ط٢، د.ن.

١٩- أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهاني) : الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر -بيروت، ط.٢

٢٠- عمر بن أبي ربيعة: الديوان، دار صادر- بيروت، ط٣، ٢٠١٠ .

٢١- فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، الأنجلو المصرية، ١٩٥٠.

٢٢- فيبكا فالتر: أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي، مجلة اللسان العربي ، .١٩٧٢

٢٣- موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب: سجل أسماء العرب، إشراف محمد بن الزبير، الهيئة العلمية، جامعة السلطان قابوس، مكتبة لبنان.

٢٤- قيس بن الملوح (مجنون ليلى): ديوان قيس بن الملوح، تحقيق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م.

٢٥- محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: أيام العرب في الجاهلية ،المكتبة العصرية - بيروت، د. ط.

٢٦- ابن منظور(محمد بن جلال الدين بن مكرم) : لسان العرب، دار صادر- بيروت، ١٩٦٨.

٢٧- ابن دريد(أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد): الاشتقاق، مؤسسة الخانجي- مصر، ١٩٨٥م.

٢٨- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤.

٢٩- الموسوعة الشعرية، الشعراء والدواوين، المجمع الثقافي- الإمارات،٢٠٠٣م.

٣٠- التبريزي(يحيي بن علي الشيباني): شرح القصائد العشر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح وأولاده، مصر،١٩٦٤م، ط٢.

٣١- ابن يعيش(أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش): شرح المفصل، تقديم : إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ٢٠٠١.

٣٢- يوسف الثالث(ملك غرناطة): ديوان يوسف الثالث، تحقيق: عبد الله كنون، ط٢، القاهرة، ١٩٦٥.

٣٣- يوسف الفجال: الأسماء الأعلام في العربية وخصائصها(دراسة وصفية دلالية)، مجلس النشر العلمي-الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.

ثانيا: المراجع الأجنبية

C.K.Ogden and I.A.Richards:The Meaning of Meaning,10th ed,G.B.,1972.

.-Meaning and style. Oxford.1973 ،S.Ullmann.